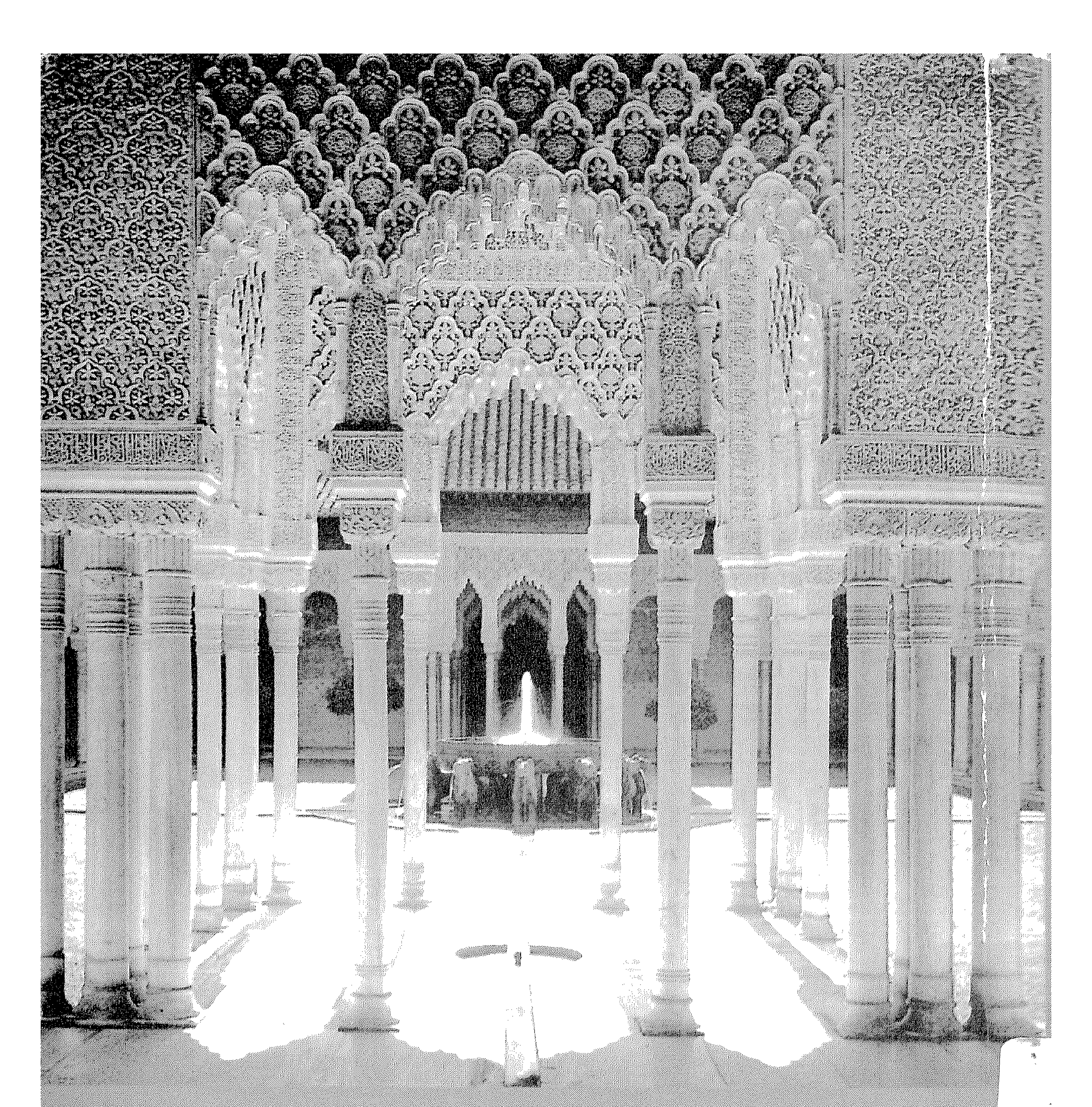


# من أعلام التصوف الإسلامي

دكتور علي الخطيب

دار نهضة الشرق
للطبع والنشر والتوزيع

الكتـــــــاب : **من أعلام التصوف الإسلامى**

المـــؤلـــــف : دكتورعلي أحمد عبد الهادى الخطيب

رقم الطبعـة : الطبعة الأولى

تاريخ الإصدار : يناير - ٢٠٠١ م



النــاشــــر : **دار نهضة الشرق .**

الإدارةوالتوزيع: ٣٢ شارع طلعت حرب (سليمان باشا سابقا) تقاطع طلعـــت حرب مع عبد الخـــالق ثروت - الدور الثـــانى شـــقة ( ٨ )

ت : ٠١٢٢٢٥٩٧٨٨ / ٠١٢٢٤٦٢٤١٩

المكتبـــــــــة : جامعة القاهرة - بجوار كلية دار العلوم .

العنوان البريدى : مكتب بريد جامعة القاهرة بالجيزة .

رقم الإيـــداع : ٢٨٥٢/٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-245-125-5

# مِنْ أعلام التصوف الإسلامى

دكتور

**على أحمد عبد الهادى الخطيب**

أستاذ ورئيس قسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر

**الجزء الأول**




للطبع والنشر والتوزيع

# إهـداء

إلى ابنتى المهندسة « لمياء » وزوجها دكتـور مهندس « نوبى محمد حسـن » مـدرس بكليـة الـهندسـة بأسيوط .



# مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعــــــد ،،،

فإن هذا الكتاب « من أعلام التصوف الإسلامى » دراسة لبعض شيوخ التصوف الإسلامى ، وتسجيل مآثرهم وأقوالهم فى شتى المجالات ، والمقامات ، والمنازل ، والروحانيات لنقتدى بهم ، ونحذو حذوهم وننسج على منوالهم . فنحن فى هذا العصر الأنكد ، وفى خضم التيارات الوافدة من الشرق والغرب ، وأمام الأمواج المتلاطمة والعواصف المدمرة للغزو الفكرى ، وحيرة الشباب الذى يقف فى مهب الريح ، وفى مواجهة هذه الأعاصير المحطمة لمعنوياته والمشوهة لصورة إسلامه الحنيف كيدا منهم وبغية الانتصار لأفكارهم ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾(1) إزاء كل هذه التيارات الوافدة والمخاطر الجسيمة ، والغزو الفكرى الحاقد ، وكتابات المستشرقين المغرضين الذين دأبوا على دس السم فى العسل ، وأنطلت أفكارهم على بعض المخدوعين والمبهورين بفكر الغرب وحضارته ، رأينا أن نترجم لبعض كبار الصوفية للتأسى والقدوة فى جميع المجالات الدينية والنفسية ... إلخ ) .

---

(١) سورة الصف : الآية رقم ٨ .

وأن نُعرّف الشباب المسلم أن الإنسان ليس جنساً كما ارتآه (فرويد) ولا تفوقاً كما فسره ( أولاد ) ولا مركب نقص كما عده بذلك (يونج) ولا مادة واقتصاداً كما فسره (ماركس) ولا ذرات روحية أو طاقة روحية كما تصوره(برجبسون)إن الإنسان أشمل من ذلك كله—إنه نفحة من روح الله تنتظم جانبه الروحى، وقيمه ومعنوياته، وقبضة من طيب الأرض تمثل جانبه المادى والجسدى والترابى﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[١]. وهذا المخلوق العجيب ليس كما يزعم (فرويد) لايستطيع أن يبدل من نفسه أو يغيرها[٢] بدعوى أنها تشكل فى معنى الطفولة الخمس الأولى .

لا ، بل إنه بإرادته الإنسانية التى هى من إرادة الله سبحانه وتعالى يستطيع أن يجدد نفسه ، وأن يجدد حياته كما يجدد الإنسان هندامه وملابسه ، وأساس بيته . فهو بذلك يستطيع أن يجدد حياته وإيمانه وأن يغير سلوكه فى الحياة إلى الأفضل وإلى ما يرضى الله عز وجل ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[٣] . ويقول تعالى : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ﴾[٤] فقمنا بالترجمة وتسجيل المآثر والأقوال فى شتى

---

(١) سورة طه : الآية رقم ٥٥ .

(٢) التصوف النفسى د. عامر النجار تصرف ص ٤٥٩ .

(٣) سورة الرعد : آية رقم ١١ .

(٤) سورة الفرقان : آية رقم ( ٧٠ ، ٧١ )

المجالات لهؤلاء الأعلام وهم «إبراهيم بن أدهم»،«أبو تراب النخشبى» الـ «البرعى»، « الفضيل بن عياض » ، «السهروردى» ، « بشر الحافى » « حاتم الأصم » ، « سهل التسترى » ، « شقيق الباخى » ، «يحيى ابن معاذ»، « رابعة العدوية » .

**والله ولى التوفيق**

**أ. د. على الخطيب**

شطورة فى غرة المحرم

سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩ من مايو سنة ١٩٩٦م



# إبراهيم ابن أدهم

١٦١هـ / ٧٧٨م



# إبراهيم بن أدهم

## « .... - ١٦١هـ / .... - ٧٧٨م »

أحد مشاهير العباد ، وأكابر الزهاد ، كانت له همة عالية في ذلك رحمة الله فهو « إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق[١] . يكنى بأبي إسحاق ، التميمي البلخي[٢] ، زاهد مشهور ويقال له: العجلي ، أصله من بلخ ثم سكن الشام ودخل دمشق وروى الحديث عن أبيه والأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق . وحدث عنه خلق منهم « بقية ، والثوري ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومحمد بن حميد » وحكى عنه الأوزعي[٣] ، ورحل إلى بغداد ، وجال في العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة . وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن ، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، ويقول النسائي : « إن إبراهيم بن أدهم ثقة مأمون أحد الزهاد ، ويذكره أبو نعيم في الحلية وغيره أنه كان ابن ملك من ملوك « خراسان » وكان قد حبب إليه الصيد ، قال فخرجت مرة فأثرت ثعلبا فهتف بي هاتف من قربوس سرجي « ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت ، قال : فوقفت وقلت انتهيت

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي جـ٥ ص ٦٣٦ . نشر دار الغد العربي . ط الأولى سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

(٢) الإعلام للزركلي المجلد الأول ص ٣١ دار العلم للملايين . بيروت . لبنان – بدون تاريخ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير جـ٥ ص ٦٣٦ ( مرجع سابق ) .

انتهيت ، جاءنى نذير من رب العالمين . فرجعت إلى أهلى فخليت عن فرسى ، وجئت إلى بعض رعاة أبى فأخذت منه جبة وكساءاً ثم ألقيت ثيابى إليه . ثم أقبلت إلى « العراق » فعملت بها أياماً ، فلم يصفو لى بها الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدنى إلى بلاد الشام فأتيت « طرسوس » فعملت بها أياماً انظر البساتين وأحصد الحصاد ، وكان يقول ما تهنيت بالعيش إلا فى بلاد الشام . أفر بدينى من شاهق إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ، فمن يرانى يقول : «هوموسوس[1]» وجاءه إلى « المصيصة » من « أرض كيليكيا » عبد لأبيه يحمل إليه عشرة آلاف درهم ويخبره إن أباه قد مات فى « بلخ » وخلف له مالاً عظيماً ، فاعتق العبد ووهبه الدراهم ولم يعبأ بمال أبيه . وكان يلبس فى الشتاء فرواً لا قميص تحته ولا يتعمم فى الصيف ولا يحتذى ، يصوم فى السفر والإقامة وينطق بالعربية الفصحى لا يلحن . وكان إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان فى كلامه مخافة أن يزل، أخباره كثيرة وفيها اضطراب[٢] . وقال أبو حاتم الرازى عن أبى نعيم عن سفيان الثورى قال : كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان فى الصحابة كان رجلاً فاضلاً له سرائر وما رأيته يظهر تسبيحا ولا شيئاً ولا أكل مع أحد طعاما إلا كان آخر من يرفع يديه[٣] . وقال أبو حنيفة يوماً لإبراهيم ابن أدهم : قد رزقت من العبادة شيئاً

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقى ص ٦٣٦ وما بعدها . وحلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى .

(٢) الأعلام للزركلى المجلد الأول – دار العلم للملايين ص ٣١ .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ص ٦٣٨ . (٣) ذاته .

صالحاً فليكن العلم من بالك فإنه رأس العبادة وقوام الدين . فقال له إبراهيم : وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من بالك وإلا هلكت .

وقال إبراهيم : ماذا أنعم الله على الفقراء ، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء(١) .

ومن أقواله أنه قال : الحزن حزنان : حزن لك وحزن عليك ، فحزنك على الآخرة لك ، وحزنك على الدنيا وزينتها عليك . وقال الزهد ثلاثة : واجب ، ومستحب ، وزهد سلامة ، فأما الواجب فالزهد فى الحرام ، والزهد عن الشهوات الحلال مستحب ، والزهد عن الشبهات سلامة . وكان هو وأصحابه يمنعون أنفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يجعلون فى ملحهم أبزاداً ، وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رمى بطيبها إلى أصحابه وأكل هو الخبز والزيتون . وقال : قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع ، وكثرة الحرص والطمع تورث الغم والجزع وقال له رجل : هذه وجبة أحب أن تقبلها منى . فقال : إن كنت غنياً قبلتها ، وإن كنت فقيراً لم أقبلها . قال : أنا غنى . قال : كم عندك ؟ قال : ألفان . قال : تود أن تكون أربعة آلاف ؟ قال : نعم ، قال : فأنت فقير ، لا أقبلها منك . وقيل له : لو تزوجت فقال : لو أمكننى أن أطلق نفسى لطلقتها . ومكث بمكة خمسة عشر يوماً لا شئ له ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء ،

---

(١)

أنه كان يعمل بالفاعل ثم يذهب فيشترى البيض والزبدة ، وتارة الشواء والجوذبان والخبيص فيطعمه أصحابه وهو صائم ، فإذا أفطر يأكل من ردئ الطعام ويحرم نفسه المطعم ليبر به الناس تأليفاً لهم وتحبباً وتودداً إليهم(١) .

وذكروا أنه مرمع رفقة فإذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن أدهم فقال له : يا قسورة ، إن كنت أُمِرْتَ فينا بشئ فامض لما أمرت به وإلا فعودك على بدئك قالوا : فولى السبع ذاهباً يضرب بذنبه، ثم أقبل علينا إبراهيم فقال : قولوا اللهم راعنا بعينك التى لا تنام ، واكفنا بكنفك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا ، ولا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله ، يا الله ، يا الله . قال خلف بن تميم : فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لى لص ولا غيره . وقد روى لهذا شواهد من وجوه آخر . وروى أنه كان يصلى ذات ليلة فجاءه أسد ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشم ثيابه ثم ذهب فربض قريباً منه ، وجاء الثانى ففعل مثل ذلك، وجاء الثالث ففعل مثل ذلك ، واستمر إبراهيم فى صلاته ، فلما كان وقت السحر قال لهم : إن كنتم أمرتم بشئ فهلموا ، وإلا فانصرفوا. وصعد مرة جبلاً بمكة ومعه جماعة فقال لهم : لو أن وليًّا من أولياء الله قال لجبل زُلْ لزال . فتحرك الجبل تحته فوكزه برجله وقال : أسكن ، فإنما ضربتك مثلاً لأصحابى وكان الجبل أبا قبيس .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير جـ٥ ص ٦٤ .

وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة ، وأكل يوماً على حافة الشريعة كسيرات مبلولة بالماء وضعها بين يديه أبو يوسف الغسولى فأكل منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم جاء واستلقى على قفاه وقال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش .

فقال له أبو يوسف : طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم إبراهيم وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ وبينما هو « بالمصيصة » فى جماعة من أصحابه إذ جاءه راكب فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ فأرشد إليه ، فقال : يا سيدى أنا غلامك ، وإن أباك قد مات وترك مالاً هو عند القاضى ، وقد جئتك بعشرة آلاف درهم لتنفقها عليك إلى بلخ ، وفرس وبغلة . فسكت إبراهيم طويلاً ثم رفع رأسه فقال : إن كنت صادقاً فالدراهم والفرس والبغلة لك ، ولا تخبر به أحداً . ويقال : إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله فى سبيل الله وكان معه بعض أصحابه فمكثوا شهرين لم يحصل لهم شئ يأكلونه ، فقال له إبراهيم : ادخل إلى هذه الغيضة وكان ذلك فى يوم شات – قال : فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فملأت منه جرابى ثم خرجت ، فقال : ما معك قلت : خوخ ، فقال ضعيف اليقين ، لو صبرت لوجدت رطباً جنياً ، كما رزقت مريم بنت عمران . وشكا إليه بعض أصحابه الجوع فصلى ركعتين فإذا حوله دنانير كثيرة فقال لصاحبه : خذ منها ديناراً ، فأخذه واشترى لهم به طعاماً وذكروا

وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكسائه واضطجع وعج أصحاب السفينة بالضجيج والدعاء ، وأيقظوه وقالوا :ألا ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس هذه شدة ؟ وإنما الشدة الحاجة إلى الناس ... ثم قال : الهم أريتنا قدرتك فأرنا عفوك . فصار البحر كأنه قدح زيت . وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حملة دينارين وألح عليه فقال له : أذهب معى حتى أعطيك ديناريك ، فأتى به إلى جزيرة فى البحر فتوضأ إبراهيم وصلى ركعتين ودعا وإذا ما حوله قد ملئ دنانير ، فقال له : خذ حقك ولا تزد ولا تذكر هذا لأحد[١] . وقال حذيفة المرعشي : أويت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة ، وكان قد مضى علينا أيام لم نأكل فيها شيئاً ، فقال لى : كأنك جائع . قلت : نعم . فأخذ رقعة فتكب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم . أنت المقصود إليه بكل حال المشار إليه بكل معنى :

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر ... أنا جائع أنا حاسر أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها ... فكن الضمين لنصفها يا بارى
مدحىلغيرك وهج نارٍ خضتها ... فأجر عبيدك من دخول النار[٢]

وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

(١) ذاته ص ٦٤١ .
(٢) ذاته ص ٦٤٢ .

لما تُوعِدُ الدنيا به من شرورها ... يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
وإلا فما يبكيـــه منهـــا وإنها ... لأروح مما كان فيه وأوســـع
إذا أبصر الدنيـــا استهل كأنما ... يرى ما سيلقى من أذاها ويسمع

وكان يتمثل أيضاً :

رأيـــت الذنوب تميت القلوب ... ويورثهـــا الـــذل إدمانهـــا
وترك الذنـــوب حياة القلوب ... وخيـــر لنفســـك عصيانهـــا
وما أفسد الديـــن إلا ملـــوك ... وأحبـــار ســـوءٍ ورهبانهـــا
باعوا النفوس فلـــم يربحـــوا ... ولـــم يَنَـــلُ بالبيـــع أثمانهـــا
لقد رتع القوم فـــي جيفـــةٍ ... تبيـــن لذى اللـــبّ أنتانُها(١)

قال إبراهيم بن أدهم : وقفت على راهب فأشرف عليّ فقلت له : عظني ، فانشأ يقول :

خـــذ عن النـــاس جانباً ... كُـــنْ بعـــدوك واهبـــا
إن دهـــراً أظلنـــى ... قـــد أرانى العجائبـــا
قلب الناس كيف شئـــت ... تجدهـــم عقـــاربـــا(٢)

قال بشر : فقلت لإبراهيم هذه موعظة الراهب لك ، فعظني أنـت. فأنشأ يقول :

---

(١) ذاته ص ٦٤٣ .
(٢) ذاته ص ٦٤٤ .

توحش من الإخوان لا تبغ مؤنساً ولا تتخذ خلاً ولا تبــغ صاحبَــا
وكن سامرىّ الفعلِ من نسل آدمٍ وكُن أوحديًا مــا قـــدرت مجانبَا
فقد فسد الإخوان والحب والإخــا فلست تــرى إلا مـــذ وقا وكاذبَا
فقلت ولولا أن يقال مُــدَ هُـــدَهُ وتنكر حالاتى لقد صرت راهبًا(١)

واختلاف فى نسبته ومسكنه ومتوفاه . ولعل الراجح أنه مات ودفن فى سوفتن ( حصن ) من بلاد الروم كما فى تاريخ ابن عساكر ، وفى المكتبة الظاهرية بدمشق « سيرة السلطان إبراهيم بن أدهم(٢) .

وقد كانت حياة إبراهيم بن أدهم تجربة من أعمق التجارب النفسية، التى يجب أن تلتفت إليها الأنظار ، وتتدبرها الأفهام ، وبخاصة فى هذا العصر الأنكد الذى انتشر فيه الفساد ، وتفشتْ الرّذيلة ، وعم البلاء ، وافتخر الشباب بارتكابه المعاصى ، واقترافه للذنوب والآثام ، وطغت المادة وسيطرت على عقليات الكثيرين ، بل على الأغلب الأعم من البشر وصار الناس أجمعين وبخاصة الشباب الذى افتقد القدوة ، وغاب المرشدون الصالحون ، فإن فى سير الزهاد والمتصوفة والصالحين القدوة الحسنة التى تنشل الشباب والشواب من طرق الغواية

---

(١) ذاته ص ٦٤٥ .

(٢) ذاتهوأيضاً تهذيب ابن عساكر جـ٢ ص ١٦٧ ، والبداية والنهاية جـ١ ص ١٣٥ والشريش جـ٢ ص ٨٢ ، وحلية الأولياء جـ٧ ص ٣٦٧ ، وروض المناظر – وفيه: وفاته سنة ١٦٠هـ ، ودائرة المعارف الإسلامية جـ١ ص ٣٣ والمناوى جـ١ ص ٧٣ ومخطوطات الظاهرية ص ٢٩٤ وفوات الوفيات جـ١ ص ٣ .

والانحراف إلى طرق الرشد والاستقامة ، ومن هؤلاء الزهاد الذين يقتدى بهم للسير فى طريق الزهادة والصلاح والتقوى ( إبراهيم بن أدهم ) المتوفى سنة إحدى وستين ومائة من الهجرة . قال ابن عساكر : المحفوظ أن إبراهيم بن أدهم توفى سنة ثنتين وستين ومائة وقال غيره : إحدى وستين ، وقيل : سنة ثلاث . والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم . وذكروا أنه توفى فى جزيرة من جزائر بحر الروم وهو مرابط، وأنه ذهب إلى الخلاء ليلة مات نحواً من عشرين مرة ، وفى كل مرة يجدد الوضوء بعد هذا وكان به البطن ، فلما كانت غشية الموت قال : أوتروا لى قوس فأوتروه فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرمى به إلى العدو ، رحمة الله وأكرم مثواه[1] .

وقد كانت حياته تجربة عميقة فى ميدان التجارب النفسية ذات القيمة فى عصرنا هذا حيث يجد فيها المسلم زاده من القدوة والهداية والرشاد ، وبخاصة هؤلاء الذين يجرون وراء السعادة ، أو ما يسمونه بالطموحات لنيل أوطارهم ، وتحقيق رغباتهم ، والوصول إلى أمانيهم فيكدحون ، ويصلون صباحهم بمصباحهم ، وليلهم بنهارهم ومع ذلك لا يجنون من سعيهم شيئاً ، ومثلهم فى ذلك كمثل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح ﴾[2] . وقول الله سبحانه : ﴿ ومثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً﴾[3].

(١) ذاته ص ٦٤٧ .

(٢) سورة إبراهيم : آية رقم ١٨ .

(٣) سورة النور : آية رقم ٣٩ .

لكن إبراهيم بن أدهم وجد السعادة الحقيقية ، وأحس بهاء ونعم بطمأنينتها ، وهو يصف تجربته لمن يعنيهم أن يسيروا فى حياتهم دون قلق أو اضطراب وحيرة . إنه يصفها لمن يريدون الحياة السعيدة . ولقد ولد إبراهيم ابن أدهم فى مدينة ( بلخ ) وهى مدينة كبيرة مشهورة من مدن ( خراسان ) وهى من أجمل المدن فى ( خراسان ) بل ومن أكثرها خيراً[١] . وقد ولد إبراهيم بن أدهم على أسرة الترف ، وفى جو من الثراء العريض وعاش حياة رغيدة ينعم فى ظلالها بكل متع الحياة ، فقد نشأ فى جو من الأبهة ، وبلهنية الحياة ، ورغد العيش فحياته كلها يسر لا عسر فيها ، ورغباته جميعها مقضية وحينما وصل إلى سن الشباب وجد المال والثراء والجاه كما وجد الصحة السليمة القوية يقول الشاعر :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أى مفسدة

ولا مناص من أن يتمخص الشباب والفراغ والجدة عما يتمخض عنه عادة ، فانغمس فى الملذات ، وجرى وراء الشهوات يعب منها وينهل ، ويلتذ ويتمتع بهذه اللذات بيد أنه كان طموحاً حيث لم يقف لدى اللذة المادية الجسمانية ، فقد أخذ يتساءل . وماذا بعد ذلك ؟ أى وماذا بعد الانغماس فى الملذات ، والجرى وراء المتع والشهوات ثم يفكر فى

---

(١) عوارف المعارف للسهروردى تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف جـ١ ص ٣٩ بتصرف .

ذلك فلا يجد إلا القلـق والحيرة ، ثـم ينغمـس فـى اللـذة مـن جديـد ، ثـم يتساءل أيضاً من جديد حتى أدركته عناية اللـه سبحانه ، وسنسير الآن مع ( إبراهيم بن أدهم ) فى حديث له عن نفسه تحدث به بعد أن مرّ من طريق الغواية إلى طريق الرشاد والهداية .

كان ( إبراهيم بن بشار ) خادماً ( لإبراهيم بن أدهم ) فسأله يومـاً: كيف كان أوائل أمـرك حتـى صـرت إلـى مـا صـرت إليـه ؟ ولـم يـرد (إبراهيم ابن أدهم) – على عادة الصوفية[1] – أن لا يتحدث عن نفسه ، فإن الصوفية يرون أن ذلك نوع من الفخر والخيلاء لا يليق بهم ، فقـال له : غير ذلك أولى بك ولكن ( إبراهيم بن بشـار ) كـان طلعـة ، وكـان متشوقاً إلى سماع ابتداء أمر سيده فى الطريق فألح فى أدب قائلاً :

هو كما تقول رحمك الله ، ولكن أخـبرنى لعل اللـه أن ينفعنـا بـه يوماً فقال له ( إبراهيم بن أدهم ) ويحك ، اشتغل بالله . فألحّ الخادم فـى أدب بالغ مرة ثالثة قائلاً يا أبا إسحاق إن رأيت، وتأمل إبراهيم بن أدهـم قوله ( لعل الله أن ينفعنا به يوماً ) أثر فيه أدب الرجـل وحرصـه علـى الاستهداء بالتجربة . فأخذ يحدثه قائلاً : « كان أبى من أهل بلخ ، وكان مـن ملـوك ( خراسـان ) وكـان مـن المياسير ، وحبـب إلينـا الصيـد ، فخرجت راكباً فرسى ، فبينما أنا كذلك ثاراً أرنـب أو ثعلـب ، فحركـت فرسى ، فسمعت نداء من ورائـى : ألهـذا خلقت؟ أم بهـذا أمـرت ؟ ... فوقفت انظر يمنه ويسره فلم أر أحداً فقلت : لعـن اللـه إبليـس ... ، ثـم حركت فرسى ، فأسمع نداء أجهر من ذلك يا إبراهيم ، ليس لذا خلقت ،

(١) عوارف المعارف للسهروردى جـ١ ص ٤٠ ط دار المعارف بالقاهرة .

ولا بذا أمرت... ، فوقفت انظر يمنه ويسره ، فلا أرى أحداً ، فقلت : لعن الله إبليس ، ثم حركت فرسى ، فسمعت نداء مرة ثالثة ، وكأنه خارج من مقدم السرج الذى أركب عليه : يا إبراهيم ... ، ما لهذا خلقت ولا بذا أمرت ، فوقفت وقلت : أنُبهت، أنُبهت ، جاءنى نذير من رب العالمين ، والله لا عصيت الله بعد يومى ذا ما عصمنى ربى[1] .

ومنذ أن أشرق نور الهداية فى قلب إبراهيم : كان أول همه أن يطلب الحل من المكسب ، فاشتغل بعمل يعينه على العبادة ، وعلى سهر الليل فى الذكر والمناجاة ، وهو حراسة البساتين ، وأخذ إبراهيم ينتقل سائحاً من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر ، متعبداً متأملاً إبداع الله للكون ، وإتقانه لكل شئ صنعه ، لا يغفل عن التسبيح والذكر، ولا يسأل الناس شيئاً ، لأنه لا يحتاج منهم إلى شئ ، ولكنه فى جميع جولاته كان هادياً ، ومرشداً ، وموجهاً إلى الله سبحانه[2] . فقد حكى عنه رحمه الله أنه قال : « كان بصحبتى رجل كثير الصوم والصلاة ، فعجبت من ذلك ، ثم نظرت فى مأكوله فكان فى موضع غير طّيب قال: فأمرته بالخروج من ملكه ، وأخرجته معى فى سفر ، فكنت أطعمه الحلال من موضع أعرفه وأرضاه ، قال : فلما صحبنى مدّة كنت أحتاج أن أضربه بالدّرة حتى يقوم فيؤدى الفرض »[3] .

---

(١) ذاته ص ٤١ .

(٢) ذاته .

(٣) اللمع لأبى نصر السراج الطوسى تحقيق الدكتور / عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور دار الكتب الحديث بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٠هـ سنة ١٩٦٠م ص ٢١٩ .

وحكى عنه رحمة الله أنه كان به قيام ، فقام فى ليلـة واحـدة نيفـاً وسبعين مرة ، وكل مرة يجدد وضوءه ويصلـى ركعتيـن[1] . وكـان إذا صحبه إنسان يشارطه على ثلاثة أشياء :

أولاً : أن يكون الخدمة له .

ثانياً : وأن يكون الآذان له.

ثالثاً : وأن يكون يده فى جميع ما يفتح الله عليهما من الدنيا كيده . فقال له رجل من أصحابه أنا لا أقدر على ذلك فقال : أعجبني صدقك. وكان رحمه الله ربما ينظر البساتين ويعمل فى الحصـاد ، وينفق على أصحابه[2] . وكان رحمه الله يقول ( عليك بعمل الأبطـال ، والكسب من الحلال ، والنفقة على العيال[3] . وكان يقـول رحمـه الله : « إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركـب السفينة ، فـإذا ولد له قد غرق ، وهذه الحكاية تعـرف للصوفـى الزاهد ( سـفيان الثورى )[4] وعن إبراهيم بن أدهـم رحمـه اللـه تعـالى أنـه قـال : تربعت مرة فهتف بى هاتف هكذا أتجـالس الملـوك ؟ فمـا تربعت بعد ذلك أبداً[5] .

---

(١) ذاته ص ٢٠٢ .

(٢) ذاته ص ٢٣٦ وأيضاً الرسالة القشرية جـ٢ ص ٥٧٧ .

ينظر البساتين يعنى يقوم بحراستها . والناطور الحارس .

(٣) ذاته ص ٢٦٠ .

(٤) ذاته ص ٢٦٥ .

(٥) ذاته ص ٢٦٧ .

وحكى عن ( إبراهيم بن أدهم ) رحمه الله ، أنـه كـان فـى سـفينة فماج البحر وأمروا الناس أن يرموا بأمتعتهم إلى البحر ، فقيـل لـه : يـا أبـا إسـحاق ، أدع اللـه لنـا فقـال : ليـس هـذا وقـت الدعـاء ، هـذا وقـت التسليم[١] .

وقـد حدثـت لـه فـى سـياحاته هـذه – المتأملـة المرشــدة – بعـض الحوادث نذكر منها : أنه سافر مرة فى سفينة فهبت الرياح شديدة عاتية فأشرفت السفينة على الغرق وأيقن ركابها بالهلاك ، فرفع رأسه وقال : « يا حى حين لاحى ، ويا حى قبل كل شئ ، ويا حى يا قيوم ، فهـدأت الريح وسارت السفينة رخاء[٢] .

ومن كلامه ناصحاً المؤمنين : « علـى أحدكـم إذا أصبـح وأمسـى أن يقول : « اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واحفظنا بركنك الـذى لا يرام ، وارحمنا بقدرتـك علينـا ولا نهلـك وأنـت رجاؤنـا » وقـال : إنمـا حجبت القلوب عن الله ، لكونها أحبت ما أبغضه ، فمالت للدنيا وتركت العمل لدار فيها حياة الأبد » . ومات – رحمه الله – سنة إحدى وسـتين ومائة .

مات وقد نعم فى رضا الله بما لم ينعم به فى حيـاة اللـذة والمتعـة الحسية ... مات وقد نعم بالسعادة وقال : ما أعقل أهل الدنيا عنا...،... مـا فى الدنيا أنعم عيشاً منا[٣] .

---

(١) ذاته ص ٣٣٢ .
(٢) ذاته ص ٤١ .
(٣) ذاته ص ٤٢ .

ومن نصائحه أيضاً قوله : « لا تصحب إلا حراً كريماً ، يسمع ولا يتكلم »[١] ، وقيل لإبراهيم بن أدهم ( هل فرحت في الدنيا قط ؟ فقال : نعم، فقال نعم : مرتين . إحداهما : كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال عليَّ ، والثانية : كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعني[٢] . وحكى أنه خرج إلى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال : أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة فضرب رأسه وأوضحه ، فلما جاوزه قيل له : إنه إبراهيم ابن أدهم زاهد (خراسان) فجاءه يتعذر إليه ، فقال إنك لما ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة . فقال : لِمَ ؟ فقال : علمت أني أوجر عليه ، فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير ، ونصيبك مني الشر[٣] .وقيل إن رجلاً أتاه بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها منه ، وقال له : تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم : لا أفعل[٤] ، وهو الذى يقول طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى ، وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر »[٥] وقيل صحبه رجل فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل : إن رأيت فيّ عيباً فنبهني عليه فقال إبراهيم : إني لم أر بك عيباً ، لأني لاحظتك بعين الوداد فاستحسنت منك ما رأيت ، فسل غيرى عن عيبك .

---

(١) الرسال القشيرية تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف جـ٢ ص ٣٦٤ .

(٢) ذاته ص ٤٩٦ .

(٣) ذاته ص ٤٩٩ .

(٤) ذاته ص ٥٣٨ .

(٥) ذاته ص ٥٤٠ .

وفى معناه يقول الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　　وكما أن عين السخط تبدى المساويا[1]

وقيل كان مع جماعة من أصحابه فكان يعمل بالنهار وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام[2] ، فكان يبطئ فى الرجوع من العمل فقالوا ليلة : تعالوا نأكل فطورنا دونه ، حتى يعود بعد هذا أسرع، فأفطروا وناموا ، فلما رجع إبراهيم وجدهم نياماً ، فقال مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام ، فعمد إلى شئ من الدقيق كان هناك ، فعجنه ، وأوقد على النار وطرح الملّة ، فنتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعاً محاسنه على التراب ، فقالوا له فى ذلك ، فقال : قلت لعلكم لم تجدوا فطوراً : فنمتم ، فأحببت أن تستيقظوا ، والملة[3] قد أدركت فقال بعضهم لبعض انظروا ما الذى عملنا ، وما الذى به يعاملنا[4] وقال محمد بن المبارك الصورى : كنت مع إبراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان ، فصلينا ركعات ، فسمعت صوتاً من أصل الرمان : يا أبا إسحاق أكرمنا بأن تأكل منا شيئاً ، فطأطأ إبراهيم رأسه ، فقال ثلاث مرات . ثم قال يا محمد كن شفيعاً إليه ، ليتناول منا شيئاً ، فقلت : يا أبا إسحاق ، لقد سمعت ، فقام وأخذ رمانتين، فأكل واحدة وناولنى الأخرى فأكلتها وهى حامضة ، وكانت شجرة قصيرة ،

(١) ذاته ص ٥٧٥ .

(٢) الأولى أن يقال : صوّام .

(٣) الملة بفتح الميم الرماد الحار . أدركت يعنى نفج خبزها .

(٤) ذاته ص ٥٧٧ .

فلما رجعنا مررنا بها فإذا هى شجرة عالية ورمانها حلو . وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها (رمانة العابدين) ويأوى إلى ظلها العابدون )[1] وكان له صاحب يقال له ( يحيى ابن سعيد ) يتعبد فى غرفة ليس إليها سلم ولا درج ، فكان إذا أراد أن يتطهر يجيئ إلى باب الغرفة ويقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويمر فى الهواء كأنه طير ، ثم يتطهر فإذا فرغ يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ويعود إلى غرفته[2]، وقال بعضهم أشرفت على إبراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه ، وقد أخذه النوم، وإذا حيّة فى فيها طاقة نرجس تروحه بها[3] . وكان فى رفقة فعرض لهم السبع قالوا يا أبا إسحاق : قد عرض لنا السبع !! فجاء إبراهيم وقال : يا أسد إن كنت أمرت فينا بشئ فأمض ، وإلا فارجع ، فرجع الأسد ومضوا[4] . وأراد أن يركب سفينة فأبوا إلا أن يعطيهم ديناراً ، فصلى على الشط ركعتين وقال: « اللهم إنهم قد سألونى ما ليس عندى ، فصار الرمل بين يديه دنانير»[5].

خرجنا نسير على ساحل البحر مع إبراهيم بن أدهم فانتهينا إلى (غيضة)[6] فيها حطب يا بس كثير ، وبالقرب منه حصن ، فقلنا

---

(١) ذاته ص ٦٨٤ .

(٢) ذاته ص ٦٨٥ .

(٣) ذاته ص ٦٨٩ .

(٤) ذاته ص ٦٩١ ، وأيضاً البداية والنهاية لابن كثير ص ٦٤١ .

(٥) ذاته ص ٦٩٤ .

(٦) أشجار من قصب .

لإبراهيم بن أهم : لو أقمنا الليلة ها هنا وأوقدنا من هذا الحطـب ؟ فقـال : أفعلـوا فطلبنـا النـار مـن الحصـن . فأوقدنـا وكـان معنـا الخـبز فأخرجنا نأكل، فقال واحد منا : ما أحسن هذا الجمر ، لو كـان لنـا لحـم نشويه عليه ؟ ! فقال إبراهيم بـن أدهـم : إن اللـه تعـالى لقـادر علـى أن يطعمكموه . قال : فبينا نحن كذلك إذ بأسد يطرد ( إيـلا )[1] فلمـا قـرب منا وقع ، فاندقت عنقه ، فقـام إبراهيـم بـن أدهـم وقـال : اذبحـوه ، فقـد أطعمكم الله . فذبحناه – وشوينا من لحمه والأسد واقف ينظر إلينا[2] .

## تجربة إبراهيم بن أدهم النفسية :

لقد بدأ إبراهيم بن أدهم حياته فى ترف من العيش ، وفى نعيم من الدنيا : فقد كان والده من المياسير ، بـل كـان مـن بيـت الملـك . ونشـأ إبراهيم لذلك محاطاً بكل أنواع الرعاية والعناية ، واغمـس إبراهيـم فـى كل ما تتيحه بيئته المترفة من ملاذ لقد عب منها ونهل . وفـى لحظـات لا تعد بالشهور ولا الأيام ، بل ولا بالساعات.

فى لحظات – تعد بالدقائق – انقلب إبراهيم – فجـأة – مـن شـاب مفتون بالدنيا قد تهيـأ لـه الشباب والفـراغ والـثراء فركـض فـى ميـادين المتعة، إلى شاب يتجه بكل كيانـه إلـى اللـه سبحانه ، ويصبـح مـا بيـن طرفة عين وانتباهتها من أولياء الله ، يقول صاحب (طبقات الصوفيـة) عن ذلك : « كان من أبناء الملوك والمياسير ، خـرج متصيـداً ، فهتـف

(١) التيس الجبلى .

(٢) ذاته ص ٧٠١ .

به هاتف أيقظه من غفلته ، فترك طريقته فى التزين بالدنيا ، ورجع إلى أهل الزهد والورع .

كيف حدث هذا الانقلاب ؟

لقد حدّث عنه إبراهيم بن بشار خادمه كما سبق أن ذكرنا ومسألة تحول إبراهيم بن أدهم من حال إلى حال مسألة لها نظائرها فى التاريخ، فها هو ذا – مثلاً – عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ذاهب لقتل رسول الله ﷺ ليقضى على الإسلام ويزيله من الوجود – فيما توهم – فإذا بهداية الله تغمره فى لحظات ، فيتحول من جاهلية إلى إسلام .

وقد يظن بعض الناس : أنه تحول مفاجئ فى الظاهر والباطن ، ولكن إذ تأملنا الظروف والملابسات ، رأينا أنه تحول مفاجئ واقعياً ، ولكنه تحول سبقته عوامل لا شعورية وبواعث عدة تتفق كلها فى توجيه الإنسان وجهة الخير التى أحبها الله له . إن المادة والملاذ والشهوات لا تنتهى بالإنسان إلى الرضا والطمأنينة والهدوء النفسى والسكينة كلا وكثير من هؤلاء الذين ينغمسون فيها : كثيراً ما يكونون من أتعس خلق الله . أرأيت إلى هاتيك الممثلات الجميلات الثريات اللواتى ينغمسن فى الشهوات والملاذ من مفرق رءوسهن إلى أخمص أقدامهن ؟

ألم تسمع أن هذه أو تلك قد انتحرت يائسة من أن تجد سكينة النفس إنهن الشقيات . إنهن اللواتى لم يرد الله لهن حسن الخاتمة ولكن من بين المنغمسات فى الملاذ ، من أراد الله بهن حسن الخاتمة

فانتفضن انتفاضة وضعتهن فى لحظات فى مرتبة القديسات ولعل القارئ قد سمع عن : « مريم المجدلية » التى انتفضت هذه الانتفاضة ، وذهبت إلى المسيح – عليه السلام – فغسلت رجليه بالدموع ومسحتهما بشعور رأسها ولم تكف عن تقبيل لهما ودهنها بالطيب .. وغفر الله خطاياها على لسان السيد المسيح عليه السلام الذى وازن بينها وبين « سمعان » فربحت كفتها .

وهل قرأت قصة « تاييس » التى كتبها « أناتول فرانس » فى أسلوب ساحر ، وفى تعبير عن الجوانب النفسية أدق لما يكون التعبير إنها اتجهت إلى الله بكل كيانها ، فتقبلها فى رحابه ، وغفر لها ماضيها الآثم ، وماتت قديسة . إنه الانتفاضات الدينية الروحية التى تنتشل الإنسان فجأة من حياة اللهو والإثم كثيرة فى مجرى التاريخ .

وما انتفاضة ( إبراهيم بن أدهم ) إلا واحدة من عشرات أو مئات، إن الرضا الحقيقى لا يكون ثمرة الملاذ ، والسعادة ليست نتيجة اللهو والعبث ، وإن كل من منحه الله عنصر الخيرية فى طبيعته لابد له من انتفاضة تنشله من جو البعد عن الله إلى جو القرب منه .

هذه الانتفاضة لها مقدمتها وبواعثها وأسبابها وعواملها الكثيرة التى تكون انتباهة عابرة ، أو عدم ارتياح إلى ما هو فيه أو عدم اقتناع بأن حياته تمثل الحياة المثلى ، أو عدم رضا عن آلية حياته . وقد كان إبراهيم بن أدهم – قبل توبته – يتجه إلى الله من حين إلى حين يتجه إليه وهو فى غمرة من ملذاته يتجه إليه فى رجاء ويقول : « اللهم

انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك » هذه هى انتفاضة إبراهيم بن أدهم وهى انتفاضة كل من أحب الله لهم الخير والهداية أما الذين نضب معين النور من قلوبهم – بسبب آثامهم ومعاصيهم وأما الذين أحاطت بهم الخطيئة لكثرة ما اجترحوا من السيئات ، فإنهم ينتحرون فى غمرة من مقت الله أو يستمرون فى شرهم إلى أن تنتهى بهم الحياة ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾[١] ، ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾[٢].

(١) سورة الأنعام : آية رقم ١٢٥ .
(٢) سورة آل عمران : الآية رقم ١٠١ .



# أبو تُراب النّخشبيّ

٢٤٥هـ



## أبو تراب النخشبى ...

هو أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبى[1] ، وهو من أجل مشايخ ( خراسان ) يتحدث عنه ( ابن الجلاء ) عن خبرة ومشاهدة ومعرفة ، فيقول ( لقيت ستمائة شيخ ما لقيت فيهم مثل أربعة : ( أولهم أبو تراب النخشبى ) أما صاحب ( الكواكب الدرية ) فيقول عنه ( وكان شيخ عصره بالاتفاق ، جامعاً بين العلم والدين والزهد والتصوف بلا شقاق ، متقشفاً متوكلاً ، متخشعاً متبتلاً ، قد أضاء فى سماء المعانى بدره ، واشتهر فى الآفاق حسنه وذكره ) . وهذا الذى يذكره صاحب الكواكب الدرية تحقق بعد جهاد بالغ ، قام به ( أبو تراب النخشبى ) لقد كان ثالث ثلاثة من أئمة مدرسة صوفية ظهر فيها بوضوح الجهاد الإسلامى بجميع ألوانه ( جهاد النفس والشهوات والأهواء ، والجهاد العلمى ، والجهاد فى المجتمع والجهاد الحربى )[2] . وإمام المدرسة هو ( شقيق البلخى ، وتتلمذ عليه ( حاتم الأصم . فكان الإمام الثانى للمدرسة . وتتلمذ « أبو تراب » على شقيق البلخى ، وحاتم الأصم معاً. وكما فتى « حاتم الأصم » فى شقيق لإيمانه بأنه على الحق : كتاباً وسنة ، فقد فتى « أبو تراب » فى « شقيق وحاتم « لإيمانه بما هما عليه من الحق كتاباً وسنة . وبدأ « أبو تراب النخشبى » – على غرار أستاذيه – بمجاهدة نفسه ، متبعاً مبدأهما الذى يعلن فيما يرويه

---

(١) عوارف المعارف للسهروردى جـ١ ط دار المعارف ص ٧٧ .

(٢) الأعلام لخير الدين الزركلىجـ٢ ص ٨٤ دار العلم الإعلامية – بيروت لبنان سبتمر سنة ١٩٩٢ ط العاشرة .

« أبو تراب » عنهما : « لو أن رجلاً عاش مائتى سنة لا يعرف هذه الأربعة أشياء ، لم ينج من النار إن شاء الله،أحدها : معرفة الله .

ثانيها : معرفة نفسه .

ثالثها : معرفة أمر الله ونهيه .

رابعها : معرفة عدو الله وعدو نفسه[١] .

وتفسير معرفة الله ، أن تعرف بقلبك أن لا معطى غيره ، ولا مانع غيره ، ولا نافع غيره ، ولا ضار غيره ، وأما معرفة النفس فأن تعرف نفسك أنك لا تضر ولا تنفع ، ولا تستطيع شيئا من الأشياء[٢] ، وخلاف النفس أن تكون متضرعا إليه وأما معرفة أمر الله نهيه فإن تعلم أمر الله عليك ، وأن رزقك على الله ، وأن تكون واثقا بالرزق ، مخلصا فى العمل وعلامة الإخلاص : أن لا يكون منك خصلتان : الطمع والثناء وأما معرفة عدو الله فأن تعلم أن عدواً لك لا يقبل الله منك شيئا إلا بمحاربته ، والمحاربة من القلب : أن يكون محاربا مجاهدا ، نافيا للعدو من قلبه[٣] ، وظل « أبو تراب » يجاهد نفسه طيلة حياته ، ويتدرج فى جهاد النفس من حال سام إلى حال أسمى ومن مقام شريف إلى مقام أشرف ، ومن طرائفه فى جهاده أنه كان إذا وجد من أتباعه فترة عن العبادة ، أو وجد منهم ما يكره جدد التوبة إلى الله ، وزاد فى الضراعة إليه ، وأتهم نفسه وقال « بشؤمى وقعوا فيما

---

(١) ذاته ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) ذاته

(٣) ذاته

وقعوا»(١) وأعلن المبدأ القرآنى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾(٢) فكان يجتهد فى العبادة حتى يغير الله ما بأصحابه وأتباعه، مستشفعا بعبادته ، وضاربا المثل لأتباعه ، ولقد وقف « أبو تراب » بعرفات خمسا وخمسين وقفة فى حياته(٣) . لقد استمر فى هذا الجهاد حتى أصبحت العبادة بالنسبة إليه نعيما ، فقال : « إذا صدق العبد فى العمل ، وجد حلاوته قبل أن يعمله ، وإذا أخلص فيه وجد حلاوته قبل مباشرته » . لقد جاهد « أبو تراب » نفسه حتى استقامت(٤). أما جهاده العلمى فقد ثابر فيه مثابرة مستمرة متبعا فى ذلك قول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وقل ربى زدنى علما ﴾(٥).

لقد درس وبحث ، وجد ودون ، وكتب الحديث الكثير . وبلغ من ذلك ما جعل الإمام الكبير « أحمد بن حنبل » يأخذ عنه الحديث يقول صاحب الكواكب الدرية عنه : « وكتب الحديث الكثير ، وتفقه على مذهب الشافعى ، وأخذ عنه « أحمد بن حنبل ، وابن الجلاء ، وآخرون من الأجلاء »(٦) ، وما كان « أبو تراب » جامدا فى أسلوب العرض ، وإنما كان يتحرى أن يكون عرضه العلم متناسباً مع واقع المجتمع وما فيه من أحداث ، وكما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى

---

(١) ذاته

(٢) سورة الرعد : الآية رقم ١١ .

(٣) عوارف المعارف للسهروردى جـ١ ص ٧٨ .

(٤) ذاته

(٥) سورة طه : الآية رقم ١١٤ .

(٦) ذاته ص ٧٩ .

ذلك ( تحدثون ويحدث لكم ) فقد قال : « أبو تراب » ، « إن الله تعالى ينطق العلماء فى كل وقت بما يشاكل أعمال أهل ذلك الزمن ، ويشير «أبو عبد الرحمن السلمى » إلى زوايا من شخصية « أبى تراب » فيقول : « ولما بلغ هذا المبلغ من العلم واستقامة النفس دان له المشايخ ودان له المريدون »[١] ، يقول صاحب « الكواكب الدرية » عن هؤلاء وأولئك « وخدمة أكابر الصوفية ، وتطفلوا عليه لهمته ، وخضع المريدون له ، ودانوا ، وتطامنوا لرفعته ، واستكانوا وما من شك فى أنه كان أهلاً لكل ذلك ، فقد وصل إلى رتبة الأستاذ وكانت دعوته وهو فى قمته هى دعوة « حاتم الأصم » حيث يقول « أنا أدعو الناس إلى ثلاثة أشياء « إلى المعرفة ، وإلى الثقة ، وإلى التوكل »[٢] فأما المعرفة فأن تعلم أن القضاء عدل منه ، فلا ينبغى لك أن تشكو إلى الناس أو تتهم أو تسخط ، ولكن ينبغى لك أن ترضى وتصبر . وأما الثقة : فالإياس من المخلوقين ، وعلامة الإياس من المخلوقين ، أن ترفع القضاء منهم ، وإذا رفعت القضاء منهم ، فقد استرحت منهم ، واستراحوا منك وإذا لم ترفع القضاء منهم ، فإنه لا بد لك أن تزين لهم وتتصنع لهم ، فإذا فعلت ذلك ، فقد وقعت فى أمر عظيم ، ووقعوا فى أمر عظيم ، وتضع عليهم الموت فإذا وضعت عليهم الموت فقد رحمتهم، وأيست منهم وأما التوكل : فطمأنينة القلب لموعود الله ، فإذا كنت مطمئناً استغنيت غنىً لا تفتقر أبداً »[٣] .

---

(١) ذاته ص ٧٩ .

(٢) ذاته .

(٣) ذاته .

كما أنه رحمه الله له آراء ذات قيمة فى التوكل والآداب العامـــة فيقول « أبو تراب » حين سئل عن التوكل هو « طـــرح البــدن فــى العبودية ، وتعلق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطــى شكر ، وإن منع صبر ، راضيا موافقا للقـــدر »[١] وفـــى ذكـــر آداب الصوفية فى الحج يحكى أنه كان يأكل أكلة بالبصرة ، وأكلة بنبـــاج ، وأكلة بالمدينة وكان يدخل « مكة » وعلى بدنه « عكن » من السمن»[٢] . ويقول فى آداب الطعام والاجتماعات والضيافات « عرض عليّ طعام فامتنعت من أكله فعوقبت بالجوع أربعة عشر يومـــا ، فعلمــت أنــى عوقبت، فاستغثت إلى الله تعالى وتبت[٣] .

وفى آدابهم إذا فتح عليهم شئ من الدنيا يقول : « إذا توافرت النعم على أحدكم فليبك على نفســه ، فإنــه سـلك بــه غـير طريـق الصـالحين»[٤] وفـى ذكـر آدابهم عنـد المـوت يقـول : « أبـو عمـران الاصطخرى » عنه « رأيت أبا تراب النخشبى رحمـه اللـه تعـالى فـى البادية قائماً ميتاً لا يمسكه شئ »[٥] .

ويقول : « أبو تراب رحمه الله » « علامة الحقيقـة البلـوى »[٦] وتوفى رحمه الله سنة خمس وأربعين ومائتين » من الهجرة .

---

(١) اللمع لأبى نصر السارج الطوس تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سـرور ص ٧٨ .

(٢) ذاته ص ٢٢٣ .

(٣) ذاته ص ٢٤٤ .

(٤ ) ذاته ص ٢٥٦ .

(٥) ذاته ص ٢٨٢ .

(٦) ذاته ص ٢٨٦ .



# البرعـى



# البرعـى

هو الشاعر الصوفى الزاهد الشيخ الإمام " عبد الرحيم بن أحمد ابن على البرعى اليمانى " شاعر متصوف من سكان " النياتبين " فى اليمن أفتى ودرّس . له ديوان شعر مطبوع أكثره فى المدائح النبوية ونسبته إلى " بُرَع " كعمر " وهو جبل بتهامة كما ورد فى تاج العروس[1] وقد جاور "الشيخ البرعى " فى الحجاز وعاش فيه زاهداً متصوفا ، وتوفى قرب المدينة سنة ٨٠٣ هـ . ١٤٠٠ م . ويجمع الباحثون على أنه توفى فى نحو نصف القرن الخامس الهجرى [٢] وبالرجوع إلى ديوانه وجدناه يذكر " الجيلانى " "٥٨١ هـ " ويعارض ابن الفارض " ٦٣٢ هـ " والإمام البوصيرى " ٦٩٥ هـ " فى شعرهما مما يدل على أنه توفى بعد ذلك التاريخ ، ويذكر صاحب تاج العروس: الشيخ " البرعى " فيقول ( ومن المتأخرين الشاعر المغلق " عبد الرحيم بن أحمد البرعى " مادح المصطفى وله مقام عظيم فى بلاده[٣] .

ويرجح الدكتور " عمر فروخ " أن البرعى كان من الأحياء فى القرن العاشر الهجرى على الأقل[٤] وله ديوان شعر مطبوع كما أومأنا إلى ذلك آنفاً يعد ثروة أدبية وصوفية عظيمة ويحوى الديوان قصائد فى

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلى ص٣ ص٣٤٣ وأيضا تاج العروس . وهدية العارفين ط ص٥٥٩ ومعجم المطبوعات ص٥٥٠ ومجلة الرسالة العدد ١٩ ص ٣٧٤ .

(٢) تاريخ الأدب العربى كلارل بروكلمان .

(٣) تاج العروس جـ٥ ص ٢٧٣ .

(٤) القصور الإسلامى للدكتور عمر فروخ ص١٢٣

تمجيد الله عز وجل ، والمدائح النبوية ، والاستغفار ومدح آل البيت، والشوق إلى الحرمين الشريفين ، والاستغاثة بالرسول عليه الصلاة والسلام ، والوعظ والمناجاة ، والاستعطاف والابتهالات والتضرعات وفيه معان جيدة وخيالات عالية وصور بليغة وإن كان يسوده أحياناً وحى المبالغة والابتذال والسوقية والصنعة البديعة مما هو طابع الشعر العثماني[1] ومن شعره الجيد قوله في الشوق إلى الأماكن المقدسة :

| | |
|---|---|
| يا راحلين إلى منى بقيادى | هيجتمو يوم الرحيل فؤادى |
| سرتم وسارد ليلكم يا وحشتى | الشوق أقلقنى وصوت الحادى |
| أحر متمو جفنى المنام ببعدكم | يا ساكنين المنحنى والوادى |
| فإذا وصلتم سالمين فبلغوا | منى السلام إلى النبى الهادى |
| ويلوح لى ما بين زمزم والصفا | عند المقام سمعت صوت منادى |
| ويقول لى يا نائماً جد السرى | عرفات تجلى كل قلب صادى |
| من نال من عرفات نظرة ساعة | نال السرور ونال كل مراد |
| تالله ما أحلى المبيت على منى | فى ليل عيد أبرك الأعياد |
| ضحوا ضحاياهم وسال دماؤها | وأنا المتيم قد نحرت فؤادى |
| لبسوا ثياب البيض شادات الرضا | وأنا من أجلهم لبست سوادى |
| بالله يا زوار قبر محمد | من كان منكم رائحا أو غادى |
| بلغ إلى المختار ألف تحية | من عاشق متفتت الأكباد |
| صلى عليك الله يا علم الهدى | ما سار ركب أو ترنم حادى[2] |

(١) دراسات فى التصوف الإسلامى للدكتور خفاجى ص٢ ص١٩٧ .

(٢) ذاته ص٥٦ .

# الفضيل بن عياض

١٨٧هـ ٨٠٣م

# الفضيل بن عياض

هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى ، أبو على شيخ الحرم المكى ، من أكابر العباد الصلحاء ، كان ثقة فى الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعى ، ولد الفضيل فى " سمر قند سنة ١٠٥ هـ ، ٧٢٣ م ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير ، وأصله منها ، ثم سكن " مكة " وتوفى بها سنة ١٨٧ هـ ، ٨٠٣ ميلادية(١) .

ونشأ الإمام الكبير " الفضيل بن عياض " بخراسان من ناحية " مرو" فى القرن الثانى من الهجرة . ولم تكن حياته الأولى توحى بأنه سيكون الولى الكبير الهادى المهدى .. ولكن عناية الله أدركته ورعاية الرحمن تجلت عليه فأنقذه الله بسرعة ، وهداه إلى صراطه المستقيم لقد كان الفضيل أولا يقطع الطريق ، فعشق جارية على حد تعبير أصحاب الطبقات – فبينما هو يرتقى الجدار إليها . إذا به يسمع هاتفاً يملأ الجو صوته ، يسمعه عن يمين ويسمعه عن يسار ، ويسمعه من أمام ويسمعه من خلف ، ويسمعه فى أجواء الجو أينما اتجه .. وهذا النداء كأنه فى الوقت ذاته يخرج من أعماق كيانه ، بل من كل خليه فى جسمه ، يقول: ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ﴾(٢) ويتسمر " الفضيل " فوق الجدار فى لحظة استغراق عميق ، ثم يضيق والدموع تملأ عينيه ويقول : " لقد آن يا رب " وفى لحظات : تم الصلح بين الفضيل وبين ربه ... وذلك مصدقاً لما يقوله السادة

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلى المجلد الخامس . دار العلم للملايين ص ١٥٣ .

(٢) سورة الحديد : آية رقم ١٦ .

الصوفيين " فى لحظة تقع الصلحة " والواقع : أن هذه اللحظة أو هذه اللمحة ، هى من الاستغراق بحيث تشمل الكيان الإنسانى كله : شعوراً وإحساساً ، وفكراً وروحاً ... إنها الانتفاضة الكاملة التى تهز الإنسان من أعماقه وينتهى منها الإنسان ، فإذا به يقف بين عهدين : عهد مضى يرجو الله فيه المغفرة ، وعهد آت يرجو فيه التوفيق ، إنها انتفاضة الطهر انتفاضة التزكية أو هى : انتفاضة التوبة الخالصة النصوح التى تنتهى بأن تضع الإنسان فى مرحلة البراءة الكاملة . والتوبة تجب ما قبلها .. لقد آن يا رب[1] : قالها " الفضيل " فى إخلاص وعزم ، ونزل من على الجدار تائباً منيباً مستغفراً متبتلاً ضارعاً ... ثم أخذت نفسه تهدأ شيئاً فشيئاً ، وأخذ فى الدراسة المنتظمة ، واتجه تلقائياً نحو الحديث ، وذلك أن الجو الإسلامى فى القرن الثانى الهجرى — هذا القرن الذى مات الفضيل فى ربعه الأخير — كان كله متشبعاً بدراسة الحديث ..

تقول " كتب الطبقات " عن الفضيل : "" كان من أعظم أئمة المحدثين خرّج له الجماعة إلا ابن ماجة ، وعنه أخذ الشافعى وابن المبارك رضى الله عنهما " ولمنزلته العظمى هذه يقول عنه الذهبى : (كان سيداً عابداً ورعاً زاهداً ربانياً عالماً فقيهاً ، وناهيك، ويقول ابن المبارك رضى الله عنه : « ما بقى على ظهر الأرض أفضل منه » ولقد ألقى « الفضيل » بكل قوته فى عالم العلم ، وفى عالم العبادة ، فكان عالماً عابداً يقول عنه صاحب الكواكب : " كان إماماً ربانياً

(١) عوارف المعارف للسهر وردى تحقيقه الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف ط دار المعارف ص ٤٥ .

صمدانيا قانتاً عابداً عظيم الشأن شديد الخوف دائم الفكر » وكلها صفات مأخوذة من سيرته " رضى الله عنه " ولقد تبصر " الفضيل " فى أمور الحياة ، وأخذ نفسه بمبادئ . وشرع فى الدعوة إليها : أما أول هذه المبادئ : فإنه يتعلق بصلة الإنسان بالدنيا، والدنيا – فى العرف الصوفى – إنما هى الأهواء والشهوات ، وهى النزعات والنزغات وهى الانغماس فى الملذات ، وهى أن يكون الإنسان عبد نزواته ... وكان " الفضيل " فى حياته الأولى منغمساً فى كل ذلك ، فلما زهق الباطل عنه، وتكشفت له الحقيقة رأى أن الدنيا – بالمعنى الذى فسرناه بها – شر كلها، إنه يقول : " جعل الشر كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت ، وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا " وبدت له حياته الماضية فى سرابها الخادع ، فإذا به يقول : "لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت علىّ – على أن لا أحاسب عليها – لتقذّرتها كما يتقذر أحدكم الجيفة "[1] وقال له رجل : كيف أصبحت ؟ وكان يثقل عليه مثل هذا السؤال ، لأن الناس عادة يسألون فيه عن الصحة البدنية لا عن الصحة الروحية .. قال : فى عافية فقال : كيف حالك ؟ فقال الفضيل : عن أى حال تسأل ؟ عن حال الدنيا أو الآخرة؟. أما الدنيا فقد مالت بنا وذهبت كل مذهب .. وأما الأخرى : فكيف ترى حال من كثرت ذنوبه وضعف عمله وفنى عمره ، ولم يتزود لمعاده ولم يتأهب للموت ؟.. وينبه " الفضيل" إلى أن الدنيا " ليست دار إقامة ، وإنما أُهبط آدم إليها عقوبة ، ألا ترى ، كيف يزويها عن أحبابه ، ويمررها عليهم بالجوع مرة ومرة بالعرى ومرة بالحاجة ؟ ..." ورأى

(١) ذاته ص ٤٦ .

الفضيل مرة رجلا مغموما ، فقال له : " أتخشى أن يكون لك غير ما شاء الله ؟ . قال لا . فقال له : فلأى شى غمك ؟ . إذا لم يستعبد حب الدنيا الإنسان ، إذا ما تحرر الإنسان من عبودية الدنيا . أصبح الطريق سهلا – ما هو الطريق – فيما يرى الفضيل وما هى آداؤه ؟ إن الطريق – فيما يرى – يبدأ بالعلم _ لقد بلغ الفضيل – فيما يتعلق بالعلم – من المنزلة فى أعين الجيل الذى عاش فيه الغاية لقد كان ينصح كبار العلماء فيطأطئون رؤوسهم إجلالا وخجلا – جلس سفيان بن عُيينة – وهو قمة من قمم العلم الإسلامى إلى الفضيل فقال : وكنتم نجوما يهتدى بكم ، فصرتم حيرة ... ، ... أما يستحى أحدكم من الله ، إذا أتى إلى هؤلاء الأمراء وأخذ من ما لهم وهو لا يعلم من أين أخذوه ؟.

ثم يسند بعد ذلك ظهره إلى محرابه ويقول : حدثنى فلان عن فلان " .. فطأطأ سفيان رأسه وقال " نستغفر الله ونتوب إليه " أما عن حملة القرآن الكريم فإن الفضيل يقول :

" لا ينبغى لحامل القرآن أن يكون له إلى خلق حاجة لا إلى الخلفاء ولا من دونهم ...... ينبغى أن يكون حوائج الخلق كلهم إليه " وكان _ رضى الله عنه – يقول :" من قرأ القرآن سئل يوم القيامة كما تسأل الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – عن تبليغ الرسالة فإنه ورائهم وكان الفضيل يتجه فى حديثه عن العلم والعلماء تارة إلى الشعب وتارة إلى العلماء فإذا اتجه إلى الشعب قال : " عالم الآخرة علمه مستور ، وعالم الدنيا علمه منشور ، فاتبعوا عالم الآخرة ، واحذروا عالم الدنيا

أن تجالسوه فإنه يفتنكم بغروره وزخرفته ، ودعواه العمل من غير عمل، أو العمل من غير صدق " وإذا اتجه إلى العلماء قال : " لو أن أهل العلم زهدوا فى الدنيا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقادت الناس لهم .. ولكن بذلوا علمهم لأبناء الدنيا ليصيبوا بذلك مما فى أيديهم فذلوا وهانوا على الناس .. ومن علامة الزهاد أن يفرحوا إذا وصفوا بالجهل عند الأمراء ومن داناهم " وكان الفضيل – رضى الله عنه – يمقت أصحاب البدع ويقول : من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة " ويقول : النظر إلى صاحب بدعة يورث العمى "

ونقف مع الفضيل فى موضوع : المعاصى "

ويرى الفضيل : أن المعصية هى سبب الآلام وسبب الآلام المصائب . ويقول فى ذلك أوحى الله إلى بعض أنبيائه :

" إذا عصانى من عرفنى سلطت عليه من لا يعرفنى " .

ويقول " إنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى سوء خلق خادمى وحمارى " . وهذا الاتجاه من الفضيل : إنما يتابع فيه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .. فقد روى الطبرى وابن عساكر أن النبى ﷺ قال : " والذى نفسى بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر .. وروى الطبرانى عن أبى موسى بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قال : " ما من عبد ابتلى ببلية فى الدنيا إلا بذنب والله أكرم وأعظم عفوا من أن يسأله عن ذلك الذنب يوم القيامة " وروى الترمذى أن النبى قال " لا تصيب عبدا نكبة – فما فوقها أو دونها – إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم قرأ : ﴿ وما

أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ (١) . والطريق الصادق إلى الله يتمثل فى الانسجام بين أمرين : حب الله والخوف منه وذلك أن : من عرف الله عن طريق المحبة من غير خوف . هلل بالبسط والادلال " ومن عرفه عن طريق الخوف انقطع عنه بالبعد والاستحياش : ومن عرفه عن طريقهما معا أحبه وقربه ، ومكنه وعلمه(٢) وقال رحمة الله جعل الله(٣) الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا . ومن عرف الله حق المعرفة فهو بعيد من الضلال ، ومن أنزل الموت حق منزلته لم يغفل عنه " هذه نصيحة فى غاية التعاسة .

ويتفرع عنها – إذا صدق التزامها – أمور منها : صدق النية ويقول الفضيل : " لا عمل لمن لا نية له ، ولا أجر لمن لا حسبة له " والحسبة التى يعنيها الفضيل هى : أن يحتسب الإنسان عمله لوجه الله سبحانه وتعالى ، أو هى تحقيق قوله تعالى : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾(٤)، ومن صدق الفضيل ما عبر عنه بقوله : " لو قيل لى أمير المؤمنين داخل عليك – فسويت لحيتى – خفت أن أكتب فى جريدة المنافقين " ومن كلماته " لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ، ولا صلاة ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس وسلامة الصدور ، والنصح للأمة وقال " أحق الناس بالرضاء عن الله أهل المعرفة به "

وكان يقول : لا تؤاخ من إذا غضب منك كذب عليك "

وكان يقول : قد بطلت الأخوّة اليوم : كان الرجل يحفظ أولاد أخيه من بعده ويعولهم حتى يبلغوا رشدهم كأنهم أولاده(٥) .

---

(١) سورة الشورى : آية رقم ٣٠ .

(٢) عوارف المعارف للسهروردى ص ٤٩ .

(٣) الإحياء للغزالى ص ٤ ٢٢٥ ط دار الصابونى .

(٤) سورة الزمر : آية رقم ٣ .

(٥) عوارف المعارف للسهروردى ص ٥٢ .



# السهرَورديّ

٥٨٧هـ ٢٩ من يوليه ١٩٩١م

# السهروردى

هو شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك السهروردى. كان فقيهاً شافعى المذهب أصولياً أديباً شاعراً حكيماً ، متفنناً نظاراً . لم يناظر مناظر إلا خصمه وأفحمه . قرأ بالمراغة على الشيخ الإمام « مجد الدين الجيلى » الفقيه الأصولى المتكلم ، ولازمه مدة ، ثم تنقل فى البلاد على قدم التجرد ، ولقى « بماردين » الشيخ «فخر الدين الماردينى» وصحبه وكان يثنى عليه كثيراً ويقول : لم أر فى زمانى أحداً مثله ولكنى أخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه ثم رحل « أبو الفتوح » إلى « حلب » فدخلها فى زمن الظاهر « غازى ابن أيوب » سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ونزل فى المدرسة « الحلاوية وحضر درس شيخها » الشريف «افتخار الدين» وبحث مع الفقهاء من تلاميذه وغيرهم وناظرهم فى عدة مسائل فلم يجاره أحد منهم وظهر عليهم ، وظهر فضله للشيخ «افتخار الدين» فقرب مجلسه[1] .

وأدناه وعرف مكانه فى الناس ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه ، فاستحضره الملك الظاهر وعقد له مجلساً من الفقهاء والمتكلمين فباحثوه وناظروه ، فظهر عليهم بحججه وبراهينه وأدلّته ، وظهر فضله للملك الظاهر فقربه وأقبل عليه وتخصص به ،

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ٥ ص ٦١٣ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى سنة ١٤١١هـ ، ١٩٩١م .

فازداد تغيظ المناظرين عليه ورموه بالإلحاد والزندقة ، وكتبوا بذلك إلى الملك الناصر صلاح الدين، وحذروه من فساد عقيدة ابنه الظاهر بصحبته للشهاب السهروردى وفساد عقائد الناس إذا أبقى عليه ، فكتب صلاح الدين إلى ابنه الظاهر يأمره بقتله وشدد عليه بذلك وأكد ، وأفتى فقهاء « حلب » بقتله فبلغ ذلك « الشهاب » فطلب من الظاهر أن يحبس فى مكان ويمنع من الأكل والشرب إى أن يموت ففعل به ذلك[1]، وقيل بل أمر الظاهر بخنقه فى السجن فخنق سنة سبعٍ وثمانين وخمسمائة وقد قارب الأربعين .

ويروى أن الظاهر ندم على ما فعل بعد مدة ونقم على مَنْ أفتوا بقتله ، فقبض عليهم واعتقلهم ونكبهم وصادر جماعة منهم بأموالٍ عظيمة . ومن تصانيفه .

التلويحات فى الحكمة ، والتنقيحات فى أصول الفقه ، وحكمة الإشراق، والغربة الغريبة فى الحكمة ، والمطارحات والمقامات وغير ذلك . وله شعر كثير أشهره وأجوده قصيدته الحائية وهى :

أبداً تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم وإلى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمتا للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فَضّاح
بالسر أن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح

---

(١) خصمه مطاوع – خاصمه فخاصمه أى غلبه .

وإذا هـم كتمـوا تحـدث عنهم ... عند الوشاة المد مـع السحـاح
وبدت شواهد للسقـام عليهـم ... فيها لمشكل أمـرهـم إيضـاح
خفض الجناح لكم وليـس عليكـم ... للصب فى خفـض الجناح جناح
فإلـى لقاكـم نفسـه مشتاقـة ... وإلـى رضاكـم طرفـه طمَّاح
عـودوا بنور الوصل فىغسق الجفا ... فالهجر ليل والوِصَـال صَبَـاح
صافاهـم فصفـوا له فقلوبهم ... في نورها المشـكاة والمصباح
فتمتعـوا والوقـت طاب بقربهم ... راق الشَّراب ورقـت الاقـداح
يا صاحليس علـى المحب ملامة ... إن لاح فى أفق الوصـال صَبَاح
لا ذنـب للعشاق إن غلب الهوى ... كتمانهم فنمـا الغـرام فباحـوا
سمحـوا بأنفسهم وما بخلوا بها ... لمّا دروا أن السّمـاح ربـاح
ودعاهـم داعى الحقائـق دعوة ... فغـدوا بها مستأنسين وراحـوا
ركبـوا علىسنن الوفا ودموعهم ... بحر وحـادى شوقهـم مَـلاَّح
واللـه مـا طلبوا الوقوف ببابه ... حتـى دُعُـوا وأتاهـم المفتـاح
لا يطربـون لغير ذكر حبيبهم ... أبـداً فكـل زمانهم أفـراح
حضـروا فغابوا عن شهود ذواتهم ... وتهتكـوا لما رأوه وصاحـوا
أفناهـم عنهم وقـد كشف لهم ... حجُب البقـا فتلاشـت الأرواح
فتشبهوا إن لـم تكونـوا مثلهم ... إن التشبـه بالكـرام فـلاح
قم يا نديـم إلـى المُدام وهاتها ... فبحانهـا قـد دارت الأقـداح
مـن كـرم إكرامٍ بدت ديانـة ... لا خمـرة قـد حاسها الفـلاح

وقال :

أقـــول لجارتـــى والدمع جارى ولى عـــزم الرحيــل عن الديار

ذرينـــى أن أسيـــر ولا تنوحى فإن الشهْبَ أشرفها الســـوارى

وإنى فى الظلام رأيــت ضوءاً كـــأن الليـــل بُدّل بالنهـــار

إلى كــم أجعل الحيّات صحبــى إلى كـــم أجعـــل التنين جارى

وأرْضَـــى بالإقامــة فى فــلاةٍ وفى ظلــم العناصر أين دارى ؟

ويبدو لـــى من الزوراء بــرق يذكرنـــى بهـــا قـــرب المزار

إذا أبصـــرت ذاك النـــور أفنى فما أدرِى يَمينـيِ مِـــنْ يســارى

ومـن كلامــه : أعلـم أنـك ستعارض بأعمالك وأقوالك وأفكـارك وسيظهر عليك من كل حركةٍ فعليةٍ أو قوليه أو فكرية صور جانبية فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مـادةً لملـكٍ تلتـذ بمنادمتـه فى دنياك ، وتهتدى بنوره فى أخراك .

وإن كانت تلك الحركة شَـهَوِيَّةً أو عصبيـةً صـارت تلـك الصـورة مادة لشيطان يؤذيك فى حال حيـاتك ، ويَحْجُبُكَ عن ملاقـاة النـور بعد مماتك(١) . وكان السهروردى يقول : « أنا آكل وأنا أصلى ، يشير إلـى حضـور القلـب فـــى الطعام ، وربمـا كـان يوقـف مــن يمنــع عنــه الشواغل وقت أكله ، لئلاً يتفرق همه وقت الأكل ويرى للذكر وحضور القلب فى الأكل أثراً كبيراً لا يسعه الإهمال(٢) ، ويقول : إذا وصل العلم إلى القلب انفتح بصر القلب فأبصر الحق والباطل وتبين له الرشد مـــن الغى .

---

(١) ذاته ص ٥ ، ٦ ، ٦١٦ .

(٢) الإحياء للغزالى ، ص٥ ص ١٧٨ دار الصابونى . ذاته ص ٤٦ .

ولد « السهروردى » فى مستهل النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى بين سنة (١١٥٠م – ٥٤٥هـ / وسنة ١١٥٥ – ٥٥٠هـ) ثم ذهب إلى « المراغة » وهو لا يزال صغيراً ليتعلم على يد الشيخ «مجد الدين الجيلى»[١] ، فتتلمذ عليه مع المتكلم المشهور « فخر الدين الرازى » المتوفى سنة (ستمائة وست هـ – سنة ألف مائتيين وتسع م) الذى تابع النقد الذى بدأه « الغزالى » حتى استطاع أن يجعل من كل وسائل الجدل الموروثة عن الفلاسفة اليونانيين نوعاً من «الأورغانون» ومن المعلوم أن « السهروردى » قد ارتحل بعد ذلك إلى « أصفهان » ومن ثم بدأت لديه حياة التنقل والأسفار ، مهتماً بغشيان الجماعات الصوفية ، محباً للوحدة التى هيأت لحياته الروحية التأملية السلوك فى معارج أهل الطريق . وكان يفضل الإقامة بديار «بكر» وقد أهدى إلى أمير «خربوط» وهو «عماد الدين قاراً أرسلان» كتابه « المسمى » باسم هذا الأمير وهو « كتاب الألواح العمادية»[٢].

و« السهروردى » لم يلق الاضطهاد من جانب الفقهاء وحدهم بل تلقاه كذلك من جميع الفلاسفة العقليين الذين ينسبون إلى الوهم عالم الحقيقة الروحية الكشفية الذى من أجله حيى الشيخ « السهروزدى » ومات[٣] .

وقد قسم الشيخ « السهروردى » معظم أيامه بين بلاد الروم وبلاد الشام، حتى تلك الرحلة إلى « حلب » التى لم يعد منها ، وقد ذكر عنه

---

(١) شخصيات قلقة فى الإسم . دراسات ألف بينها وترجمها عبد الحرمن بدوىى نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٦م ص ٩٧ ، وراجع ترجمة الشيخ « مجد الدين الجبلى » عند ابن أبى أصيبعة جـ٢ ص ٢٣ .

(٢) شخصيات قلقة فى الإسلام ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٣) ذاته .

تلميذه « الشهرزوري » أنه كان مستوى القامة ، يضرب شعره ولحيته إلى الشقرة، وأنه كان يميل إلى السماع أعنى إلى الموسيقى[١] وكان يبدى احتقاراً شديداً لكل مظاهر السلطان ، أو الأبّهة الدنيوية ، وكان في بعض الأحيان يلبس ثوباً واسعاً طويلاً ، وعمامة زاهية الألوان ، وأحياناً أخرى كان يبدو على العكس من هذا في ثيابه مهلهله[٢] . ومرة ثالثة كان يقنع بارتداء خرقه الصوفية ويذكر صاحب الأعلام أنه كان ردىء الهيئة زرى الخلقة ، لا يغسل له ثوباً ولا جسمًا ولا يقص ظفراً ولا شعراً[٣] . وولد في « سهرورد » من قرى « زبخان » في العراق العجمي ، ونشأ بمراغة وسافر إلى «حلب» فنسب إلى انحلال العقيدة[٤]. وكان علمه أكثر من عقله[٥] كما أننا نرى صاحب الوفيات يذكر خلافاً في اسمه[٦] .

ويذكر صاحب الأعلام أن مولده ووفاته كان في سنة ٥٤٩-٥٨٧هـ/ ١١٥٤ - ١١٩١م[٧] .

---

(١) ذاته ص ٩٩ .

(٢) ذاته .

(٣) الأعلام لخير الدين الزركلي جـ٨ ص ١٤٠ .

(٤) ذاته .

(٥) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ ص ٢٦١ .

(٦) ذاته .

وأيضاً النجوم الزاهرة جـ٦ ص ١١٤ وسير أعلام النبلاء للذهبي جـ٤ ص ٢٩٢ ، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي اليمنى جـ٣ ص ٤٣٤ ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني جـ٣ ص ١٥٦ .

(٧) الأعلام جـ١ ص ١٤٠ .

وهاك ملحة طريفة . روى ابن رقيقة وهو « سديد الدين محمود ابن عمر » الملقب « بابن رقيقة »[1] ، فقال : « كنت أنا والسهروردى نتمشى فى جامع « ميا فارقين » وهو لابس جبة قصيرة مضربةزرقاء، وعلى رأسه فوطة مفتولة ، وفى رجليه « زربولى » ورآنى صديق لى، فأتى إلى جانبى وقال : ما جئت تماشى إلا هذا « الخرنبدا » ؟ فقلت له : اسكت ! هذا سيد الوقت « شهاب الدين السهروردى ». فتعاظم قولى وتعجب ومضى[2] وهذا النوع من عدم الاكتراث للاعتبارات الاجتماعية كان يقوم عنده على استقلال ذاتى مطلق وقد عبر أحد أصدقائه الخلص وهو « فخر الدين الماردينى » عن حاله مع إخوانهما فقال : « ما أذكى هذا الشاب وأنصحه » ولم أجد أحداً مثله فى زمانى ، إلا أنى أخشى عليه ، لكثرة تهوره واستهتاره وقلة تحفظه ان يكون ذلك سبباً لتلافه[3] وهذه توقعات كان لها ما يبررها وذلك الأمر هو الذى دفع بالشيخ الشاب « السهروردى » إلى مجابهة الفقهاء، والعلماء فى « حلب » وقد تآمروا على القضاء عليه لدى السلطان « صلاح الدين » ولم تستطيع صداقة ابنه « الملك الظاهر » أن تنقذه من ذلك المصير[4] ، وقد بلغت مؤلفاته « تسعة وأربعين مؤلفاً » وهو ثبت غير كامل حيث نقصت مؤلفاً له وهو « كشف الغطا لإخوان الصفا » والجزء الأكبر من هذه المؤلفات يومئ إلى كتب الفث بالعربية ،

---

(١) ابن أبى أصبيعة جـ٢ ص ٢١٩ ، ١٣٠ ، جـ١ ص ٣٠٠ .

(٢) ذاته .

(٣) شخصيات قلقة ص ١٠٠ وابن أبى أصبيعة جـ٢ ص ١٦٩ .

(٤) شخصيات قلقة فى الإسلام ص ١٠٠ .

والجزء الآخر بالفارسية ، وقسم ثالث يحتوى على ترجمات لمؤلفاته العربية إلى الفارسية قام بها هو نفسه . وعلى رأسها جميعاً كتاب « حكمة الإشراق » الذى عده «السهروردى» نفسه ، مؤلفه الرئيسى ، وفيه عرض تنظيمى كامل لمذهب الإشراق فى مجموعة[1] ، والأساس القرآنى لمذهب الإشراق هو الآية المشهورة ﴿ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونه لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ﴾[2] .

ونرى « السهروردى » يتابع طريقة « الحلاج » فى بعض المفاهيم الحلاجية فمثلاً يؤكد أن « القلب » فى قوله تعالى : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾[3] ، ليس مقصوداً به العضو المادى المعروف بل المقصود به « النفس » التى يسميها الحكماء « النفس الناطقة » والروح هى النفس الذى نفخة الله فى آدم فجعل منه نفساً حية قال تعالى : ﴿ فى أى صورة ما شاء ركبك ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾[5] ، وعلى هذا فإن الله وهو نور قال تعالى : ﴿الله نور السماوات والأرض﴾ ، فالنفس من

---

(١) ذاته ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) سورة النور : الآية رقم ٣٥ .

(٣) سورة الأنفال : آية رقم ٢٤ .

(٤) سورة الانفطار : آية رقم ٨

(٥) سورة الحجر : الآية ٢٩ .

أمره ونوره وقوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمـر ربى ﴾[1] وفى هذا تقوم الرابطة بين النفس وبين الله . فكيانها من النور لأنها النظام ولأنها الأمر الخالق الصادر من الله الذى هو نور . وعلى هذا الأساس لا على أساس تحول الفكر تقوم أفضلية نظام الروح على نظام العقل ، وليس هذا بينه إشراق مثالى خالص ، ولا حكماً مجـرداً ، إنما هو تحقيق فعلى، فى فعل الخلق « كن » هذا الفعل أو الأمر الـذى يأمر بالرجعة أعنى بتوحد الواحد ، ويثير الرغبة فى الموت كما أبداهـا موسى عليه السلام[2] . ورغبة الحلاج التى أشار إليها السهروردى فـى هذا المقام موردا نصين من أهم النصوص . فهو يقول إن « الحـلاج » قد أشار إلى رجع النفس حينما صاح قائلا :

اقتلونـى يا ثقاتـى      إن فى قتلى حياتى[3]
ومماتـى فى حياتـى      وحياتى فى مماتـى

وهذا أيضاً هو ما عناه بهذه الكلمات :

هيكلـى الجسم نورىُّ الصميـم      صمدىُّ الروح ديـّـان عليـمْ
عـاد بالـروح إلـى أربابهـا      فبقى الهيكل فى التـراب رميم[4]

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

(٢) شخصيات قلقة فى الإسلام ص ١٢٨ بتصرف .

(٣) الديوان ص ٢٤ صنعة وأصلحه الدكتور / كامل مصطفى الشيبى أستاذ الفلسفة الإسلامية فى جامعة بغداد ط بغداد سنة١٣٩٤هـ /١٩٧٤م وأيضاً أخبار الحلاج للشيخ عبد الحفيظ فى هاشم ص ١٢٤ . مكتبة الجندى بالقاهرة .

(٤) الديوان ص ٥٢ ( مرجع سابق ) وأخبار الحلاج ص ١٣٨ .

وحياة « السهروردى » يكتنفها الغموض ، وما نعلمه عن طريق تلميذه « الشهرزورى » هو أنه جاء من ديار « بكر » إلى « حلب » فى الوقت الذى كانت فيه حكومة هذه المدينة فى يد ابن صلاح الدين « الملك الظاهر » فقامت صداقة عميقة مخلصة بين الشيخ الفتى وبين ابن السلطان . وخلف لنا هذا المؤرخ لحياته وهو « الشهرزورى » صداً للمجادلات المتزايدة عنفاً والتى جرت بين السهروردى والعلماء والفقهاء[1] ، وقد خلع السهروردى معهم كل تحفظ ، فصرح بكل ما فى أعماق فكره مستخدماً تعبيرات شائكة جداً ، فما أسنح الفرصة لدى الحساد والحاقدين وبخاصة لدى أولى الأمر والذين وضعت فى أيديهم المسئولية السياسية . وذلك فى حوار نقله إلينا مؤرخ لا يلوح أنه متهم بعطفه على الشيخ وهو « ابن تيمية » ترى أن التهمة الرئيسية التى وجهها الفقهاء ضد السهروردى هى أنها قال فى كتبه: إن الله يملك إن شاء أن يخلق نبياً فأجاب السهروردى بأن الله قادر على كل شئ ، فقالوا إلا على خلق نبى ، فأجاب سائلاً : هل الاستحالة هذا مطلقة أو غير مطلقة ؟ فقالوا : له أنت كافر ، ويلوح كذلك أن « ابن تيمية»[2] لم يأخذ على السهروردى شيئاً غير أنه أدعى النبوة . وهذه الدعوى تذكرنا بقضية مشهورة هى قضية الشاعر « أبو الطيب المتنبى » وظل هذا اللقب مرتبطاً به واتهم بأنه مشترك فى مؤامرة « القرامطة » . وتلك الحركة التبشيرية الاجتماعية . بيد أنه من الجلى أنه فى نهاية القرن الثانى عشر والذى يوافق « القرن السادس الهجرى »[3] كان صلاح

---

(١) نزهة الأرواح لرافع الشهرزورى ص ٩٧ — ١٠٠ .

(٢) مجموعة الفتاوى للشيخ ابن تيمية جـ٥ ص ٩٣ القاهرة سنة ١٩١١م .

(٣) شخصيات قلقة فى الإسلام ص ١٣١ بتصرف .

الدين لم ينتصر على الخلافة الفاطمية إلا بعد جهد جهيد . كما كان لا يزال فى عراك مع الفرنجة ،ولذا كان عليه أن يهتم بالخطر السياسى الذى كشف عنه العلماء والفقهاء فى تقريراتهم إليه عن السهروردى ، قائلين إنه لو ترك حياً لأفسد عقيدة الملك الظاهر ، وإذا أطلق سراحه عم فساده فى البلاد . ووفقاً لهذه التقريرات أرسل صلاح الدين إلى ابنه يأمره بقتل الشيخ . بيد أن الملك الظاهر لم يطع هذا الأمر لأنه كان يحب الشيخ . فاستأنف العلماء محاولاتهم عند صلاح الدين مما جعل هذا يرسل إلى ابنه مهدداً إياه بخلعه من إمارة (حلب ) إذا استمر على رفضه . والأخبار فى ذلك الأمر متباينة ، فبعضها يقول إن الشيخ مات مخنوقاً ، والبعض الآخر يقول : إنه مات قتلاً بحد السيف وقسم ثالث يؤكد أن الشيخ قد امتنع بنفسه عن كل طعام حتى دعاه الله إلى جواره[1] .

هل صحيح أن الملك « الظاهر » قد انتقم من الذين اتهموا السهروردى ، فيما بعد ؟ مهما يكن من شئ ، فإننا لم نشأ أن نعلق أهمية على الملابسات الخارجية لهذا الموت . فمكانة السهروردى فى «تاريخ النزعات الصوفية فى الإسلام ، وهو تاريخ لا يخلو من مآس» والصلة الروحية العميقة التى تربطة برجل كالحلاج ، أو بتلميذ « أحمد الغزالى » ، وهو الشيخ الفتى عين القضاة الهمذانى ، الذى مات مثله شهيداً بعد أن جاوز الثلاثين بقليل – هذه الصلة تقوم قبل كل شئ على تشابه طريقهم فى الوجود والحياة ، كما تتحدد فى توقعاتهم ، وفى توثبهم المشترك سعياً وراء الموت ، هذا الموت الذى تقبلوه مقدماً على أنه جزاء عادل عن هذا الكفر الذى فرض عليهم إيمانهم بميثاق التوحيد

---

(١) شخصيات قلقة فى الإسلام ص ١٣١ بتصرف .

نفسه أن يتظاهروا به[1] . وهو توقع وإحساس سابق عبر عنهما بوضوح « عين القضاة » « الهمذانى » والذى أعدم فى الليلة السابقة من جمادى الآخرة سنة ٥٢٥هـ – مايو سنة ١١٣١م .

فقال : « نسأل الله الموت والشهادة ... »[2] .

وقد بدأ السهروردى حياته الروحية بنغمة من شعر الحلاج فى التوحيد.

لأنوار نور النور فىالخلق أنوار      وللسرّفى سرّ المسرّين أسرار

وتوفى السهروردى وهو فى السادسة أو الثامنة والثلاثين من عمره . فى الخامس من شهر رجب سنة ٥٨٧هـ / ٢٩ من يوليه سنة ١١٩١م[3] .

---

(١) شخصيات قلقة فى الإسلام ص ١٣٢ .

(٢) المجلة الأسيوية عدد مارس سنة ١٩٣٠ ص ١٨ مقال للأستاذ / محمد عبد الجليل بتصرف .

(٣) الأعلام لخير الدين الزركلى جـ١ ص ١٤٠ .

# بشر بن الحارث الحافى

# بشر بن الحارث الحافى

هو " بشر بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن بشر الجوهرى . واعظ من العارفين بالفقة والحديث أقام فى الاسكندرية ، ودفن بها وإليه تنسب " محلة سيدى بشر "[1] واصل « بشر » من « مرو » من رؤساء قرية « بَكرد » ثم سكن « بغداد » وأخذ العلم عن الفضيل وأمثاله ، والسبب فى سلوكه طريق الصوفية فهو كما يروى صاحب الكواكب الدرية [2] أنه وجد ورقة فيها البسملة ملقاة بالطريق ، فرفعها وطيبها ووضع عليها عطراً ، فسمع النداء : طيبتها لأطبين اسمك فى الدنيا والآخرة " وسلك بشر طريقه ووصل به الأمر إلى درجة أن يقول عنه الإمام المناوى ( كان كبير الشأن ، عظيم المقدار علىّ المنزلة ، رفيع المنار ، لطيف الإشارة ، عذب الكلام طليق العبارة، عديم النظير زهداً وورعاً وصلاحا ) .

وكان بشر رحمه الله يقول : الفقراء ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا ياخذ ، فهذا مع الروحانيين فى عليين . وفقير لا يسأل وإن أعطى أخذ ، فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس ، وفقير يسأل عند الحاجة ، فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمين[3] . فقد اتفق كلهم على ذم السؤال . وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة ، ويقول أيضاً

---

(١) الأعلام لخير الدين الزركلى جـ٢ ص ٥٤

(٢) الكواكب الدرية

(٣) إحياء علوم الدين للإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى جـ٤ ص ٢٧ ط دار الصابونى .

عنه الإمام الغزالى : « وكان بشر من الورعين فقيل من أين تـأكل ؟ فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك، ويد أقصر من يد ، ولقمة أقل من لقمة » ، وأخذت منزلة بشر تعلو وترتفع حتى لقد قال فيه " محمد بن الصلت " "كان اسمه بين الناس كأنه اسم نبى " وبلغ من رفيع قدره أن الخليفة المأمون تشفع بأحمد بن حنبل فى أن يأذن له فى زيارته ويحدث يحيى بن أكثم فيقول قال لى المأمون لم يبق فى هذه الكورة " يعنى بغداد " أحد يستحى منه غير هذا الشيخ " بشر بن الحارث "[1] وكان بشر لا يأخذ من أحد شيئاً ، ولا يقبل هدايا الأمراء أو الأثرياء .

ومن طريف مايروى فى هذا الموضوع ما حدث به «عثمان بن دهقان » قال : « كنت عند بشر وهو يتكلم فى الرضا والتسليم فإذا هو برجل من المتصوفة فقال له الرجل يا أبا نصر إن قبضت عن أخذ البر من يد الخلق وما ذلك إلا لإقامة الجاه لنفسك فإن كنت متحققاً بالزهد ، متصرفاً عن الدنيا فخذ من أيديهم لأجل أن ينمحى جاهك عندهم ، وأخرج ما يعطونك إلى الفقراء وكن بعقد التوكل تأخذ قوتك من الغيب " فلما قال له ذلك اشتد هذا القول على أصحاب بشر وتولاهم القلق على شيخهم فقال بشر اسمع أيها الرجل الجواب ، الفقراء الصوفية ثلاثة : فقير لا يسأل وإن أعطى لا يأخذ فذاك الروحانيين ، إذا سأل الله أعطاه وإن أقسم على الله أبر قسمه، وفقير لا يسأل وإن أعطى قبل فذاك من

---

(١) عوارف المعارف للسهروردى تحقيق الإمام عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف جـ١ ص ٥٧ ، ٥٨ دار المعارف بالقاهرة .

أوسط القوم عقده التوكل والسكون إلى الله تعالى وهو ممن توضع له الموائد فى حظيرة القدس ، وفقير اعتقد الصبر وموافقة الوقت فإذا اضطرته الحاجة خرج إلى عبيد الله ، وقلبه إلى الله بالسؤال فكفارة مسألته صدقة في السؤال[1] – فقال الرجل رضيت رضى الله عنك ، وقد رأى بشر بن الحارث رسول الله ﷺ فى المنام ويتحدث بشر عن رؤياه فيقول " قال لى يا بشر أتدرى لما رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت لا يا رسول الله .قال باتباعك لسنتى ، وخدمتك للصالحين ، ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابى وأهل بيتى هذا هو الذى بلغك منازل الأبرار[2] . وإتباع سنة الرسول ﷺ فى حقيقة الأمر هو الأساس للإتجاه إلى الله فى صدق ' يقول سبحانه وتعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيراً ﴾[3]. وهذا الإتباع لا يتأتى إلا بدراسة سيرة رسول الله ﷺ دراسة مستفيضة ، ودراسة سيرة رسول الله ﷺ لا تتاتى فى دقة إلا عن طريق كتب الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخارى ، وصحيح مسلم رضى الله عنهما ، ومن أجل الاتباع الصادق درس بشر الحديث النبوى الشريف ، دراسة فى سعة وفى دقة لقد وصل إلى مرتبة المحدثين . ويقول عنه الدار قطنى ( وهو ثقة لا يروى إلا حديثاً صحيحاً ويقول عنه السلمى[4] « كان عالماً ورعا » وما كان طلبه للعلم من أجل الشهرة ، ولا من أجل الرياسة ، وإنما كان من أجل الاتباع

(١) ذاته ص ٥٨ .

(٢) ذاته .

(٣) سورة الأحزاب : الأية رقم ٢١ .

(٤)

الصادق والسلوك السليم . إنه يقول ( من طلب الرياسة بالعلم تقرب إلى الله بما يبغضه ، فإن طلب الرياسة بالعلم مقت فى السماء والأرض ) وهذا الاتباع لسنة رسول الله ﷺ نشأ عن علم ودراسة ، وانطلاقاً من هذا الأساس أخذ بشر يدعو إلى الله وينصح إخوانه واتجه بشر فى هذه النصيحة إلى إعلان الحرب على المعاصى والأثام إنه يقول لإخوانه فى ذلك « من أراد أن يلقن الحكمة فلا يعص الله ويقول : ( إذا قصر العبد فى الطاعة سلبه الله ما يؤنسه ومن يؤنسه ) وكان بشر يجد حلاوة العبادة ، وإن للعبادة لحلاوة يجدها الصادقون – ويبين بشر الطريق إلى هذه الحلاوة للعبادة فيقول : « لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد »[1] وينادى إخوانه قائلاً « هب أنك ما تخاف ، أما تشتاق »؟ وحينما يراهم يرفعون أكفهم يدعون الله سبحانه وتعالى يبين لهم وسيلة استجابة الدعاء فيقول « الدعاء ترك الذنوب » ولم ينس بشر أن الكثير من الناس لايتمسك بالورع فى طلب الرزق وخصوصاً من يحترفون التجارة ، فكان بشر يحدثهم بما يجد من ذلك فى حديث رسول الله ﷺ من الحث على طيب المطعم ، وهو كثير، وبما يجد من ذلك فى القرآن الكريم .. ولقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( تليت هذه الآية عند رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلال طيبا ﴾[2] فقام سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فقال : يا رسول الله ، ادعوا الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة . فقال النبى ﷺ « يا سعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى

(١) عوارف المعارف للسهروردى جـ١ ص ٥٩ « مرجع سابق » .

(٢) سورة البقرة : الآية رقم ١٦٨ .

نفس محمد بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما وأيما عبد نبت لحمة من سحت فالنار أولى به[1] .

ويقول بشر انظر خبزك من أين هو ؟ ولا تعرض لحمك للنار»[2]

وحكى عن بشر الحافى رحمة الله : أنه حمل إلى دعوة ، فوضع بين يديه طعام ، فجهد أن يمد يده إليه فلم تمتد ، ثم جهد فلم تمتد ثلاث مرات ، فقال رجل ممن كان يعرفه : إن يده لا تمتد إلى طعام حرام أو فيه شبهة ، ما كان أغنى صاحب هذه الدعوة أن يدعو هذا الرجل إلى بيته ، وتقوى هذا حكاية سهل بن عبد الله : سمعت أحمدبن محمد بن سالم بالبصرة يقول : سئل سهل بن عبد الله عن الحلال فقال : الحلال الذى لا يُعصى الله فيه . قال أبو نصر رحمه الله : والذى لا يعصى الله فيه لا يتهيأ لأحد الوقوف عليه إلا بإشارة القلب. وقد حكى عن بشر بن الحارث ، أنه كان يقول : يا أصحاب الحديث ، أدوا زكاة الحديث، قيل:وما زكاة الحديث؟ قال أعملوا من كل مائتى (حديث) بخمسة أحاديث يعنى من كل مائتى حديث تكتبونها وتحفظونها[3] . وحكى عن فتح الموصلى رحمة الله تعالى أنه دخل على بشر الحافى رحمة الله وجاءه زائراً من " الموْصِل " فأخرج بشر درهماً وأعطاه « لأحمد الجلاء » وكان يخدمه فقال : مر إلى السوق اشتر طعاماً جيداً ، وأدماً طيباً ، قال : فخرجت ، فاشتريت خبزاً نظيفاً وقلت لم يقل النبى عليه الصلاة والسلام لشئ من الطعام " اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه إلا اللبن

---

(١) رواه الطبرانى فى الجامع الصغير .

(٢) عوارف المعارف للسهروردى ص ٦٠ .

(٣) اللمع لأبى نصر السراج الطوسى تحقيق الدكتور عبد الحليم والدكتور/طه عبد الباقى سرور ص ٧٠ ، ٧١ ملتزم الطبع دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد .

« فاشتريت اللبن واشتريت تمراً جيداً وجئت وقدمت إليه فأكل ما أكل وأخذ الباقى وخرج ، فلما خرج قال بشر لمن كان عنده » هذا فتح الموصلى جاء يزورنى ، تدورن لما لم يقل لى : كل ؟ قال : لأنه ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار كل ، تدرون لما قلت اشترى طعاماً طيباً؟ لأن الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر ، تدرون لما حمل ما بقى ؟ لأنه إذا صح التوكل لم يضر الحمل[1] . وكتب إسحاق المغازلى رحمه الله تعالى، وكان من أحد المشايخ ، إلى بشر بن الحارث رحمه الله تعالى ، وكان بشر يعمل المغازل ، فكان فى كتابه : بلغنى عنك أنك استغنيت عن أمر معاشك بعمل هذه المغازل ، أرأيت إن أخذ الله تعالى سمعك وبصرك الملتجأ إلى من ؟ قال ، فترك بشر ذلك العمل واشتغل بالعبادة[2] . وحُكى عن بشر بن الحارث ، رحمه الله تعالى ، أنه قال :لو دفعت إلى الاهتمام بمؤنه وحاجة ما أمنت على نفسى أن أصبح شرطيًا ، وكان لأبى شعيب البرائى كوخ ، فمرت به امرأة من أبناء الدنيا فقالت له : إنى أريد أن أتزوج بك وأخدمك فخرجت من جميع ما كانت تملكه ، وتزوج بها أبو شعيب ، فلما أرادت أن تدخل الكوخ نظرت إلى قطعة خصّاف فقالت : ما أنا بداخله حتى تخرجها ، أليس سمعتك تقول: تقول الأرض لأبن آدم تجعل ( اليوم ) بينى وبينك شيئاً وأنت غداً فى بطنى ؟ فما كنت لأجعل بينى وبينك حجاباً ، فأخذ الخصاف وأخرجها فرمى بها ، ثم قال : ادخلى ، فدخلت ، فمكثا يتعبدان فى ذلك المكان سنين كثيرة ، حتى توفيا وهما على تلك

---

(١) ذاته ص ٢٤٤ .

(٢) ذاته ص ٢٥٩ .

الهيئة[١]. ويقال : إن بشرا الحافى رحمه الله تعالى : مرض مرضة ، فدخل عليه الطبيب ، فأخذ بشر يصف للطبيب ما به ، فقيل له : يا أبا نصر ، أما تخشى أن تكون هذه شكايه ، فقال : لا ، إنما أخبره بقدرة القادر ( على )[٢] وحكى عن بشر الحافى رحمة الله تعالى أنه كان قد تعرى فى يوم شديد البرد وهو ينتفض ، قلنا له : يا أبا نصر ما هذا ؟ فقال : ذكرت الفقراء وأن ليس لهم شىء ، ولم يكن لى ما أواسيهم به ، فأحببت أن أواسيهم بنفسى[٣] .

وحكى عنه أيضا أنه كان يقول ليتق الله تعالى عند خلواته وليلزم بيته وليكن أنسيه الله عز وجل وكلامه[٤] . وكان ميلاده سنة خمسين ومائة للهجرة وتوفى يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين رحمه الله[٥] .

(١) ذاته ص ٢٦٥ .
(٢) ذاته ص ٢٧٢ .
(٣) ذاته ص ٢٧٣ .
(٤) ذاته ص ٢٧٧ .
(٥) الأعلام لخير الدين الزركلى جـ٢ ص ٥٤ .



# حاتم الأصمّ

٢٣٧ هـ/٨٥١م



# حاتم الأصم

هو حاتم بن عنوان ، أبو عبد الرحمن المعروف بالأصم ، زاهد اشتهر بالورع والتقشف وسبب تسميته بالأصم ما حكاه أبو على الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسألة فاتفق أنه خرج منها صوت ريح فخجلت المرأة . فقال حاتم : ارفعى صوتك وأراها أنه أصم فسرت المرأة بذلك - وقالت إنه لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم[١] . له كلام مدوّن فى الزهد والحكم[٢] وهو من قدماء مشايخ خراسان من أهل بلخ ، كما يذكر أبو عبد الرحمن السلمى ، ويقول صاحب ( الرسالة القشيرية عنه :" من أكابر مشايخ خراسان " .. ولما أراد صاحب " الحلية " كعادته مع الصوفية الذين يكتب عنهم - أن يصفه قال : ومنهم - أى من الصوفية - المؤثر للأدوم الأعم والأخذ بالالزم ، والأقوم أبو عبد الرحمن حاتم الأصم - توكل فسكن ، وأيقن فركن ".. وحياة حاتم الأصمّ تزيل كثيراً مما ألصق بالصوفية من تهم لا تمتُّ إلى الحقيقة بصلة ، وأول هذه التهم المزيفة أن الصوفية لا يمارسون الجهاد فى سبيل الله والواقع أن العكس هو الصواب .

وها هو ذا حاتم وأستاذه شقيق - وكلاهما من " بلخ " قد ساهما فى الجهاد بصورة ملحوظة[٣] .

---

(١) المستطرف فى كل من مستطرف للأبشيهى جـ١ ص ٢٣٦ ط الأولى سنة ١٤١٣هـ ، سنة ١٩٩٢م دار الجيل بيروت - لبنان .

(٢) الأعلام جـ٢ ص ١٥٢ ، وأيضاً تاريخ بغداد جـ٨ ص ٢٤١ ، وطبقات الصوفية .

(٣) عوارف المعارف للسهروردى ص ٧٢ .

وقد زار بغداد ، واجتمع بأحمد بن حنبل ، وشهد بعض معارك الفتوح ، ومما حدث به نفسه : قال " لقينا التّرك ورماني أحدهم بَوهَق فأقلبني عن فرسي ونزل ، عن دابته فقعد على صدري ، وأخذ بلحيتي هذه الوافرة ، وأخرج من خفّه سكيّناً ليذبحني بها ، فرماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عنّي ، فقمت إليه فأخذت السّكين من يده فذبحته . مات " بوا شجرد " وكان يقال : حاتم الأصمّ لقمان هذه الأمة »[١] .

وتلك صورة تبين عدم مبالاته بالموت حينما حدث أن تغلب عليه الأعداء مرة وأخذوه أسيراً وجثم أحدهم على صدره ليذبحه ثم يصف مشاعره واحساساته حينما جثم على صدره عدوه فيقول : " لم يشتغل به قلبي ، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فيّ ، فبينما هو يطلب السكين التي يذبح بها أصابه سهم فقتله فقمت سليماً معا في . ونظرة حاتم إلى الجهاد نظرة عامة شاملة وهي النظرة الإسلامية الصادقة للجهاد إنه يقول : الجهاد ثلاثة .

**أولاً** : جهاد في سرك مع الشيطان حتى تكسره .

**ثانياً** : جهاد في العلانية – في أداء الفرائض حتى تؤديها كما أمر الله.

**ثالثاً**: جهاد ضد أعداء الله لنصرة الإسلام .

---

(١) الأعلام للزركلي – دار العلم لملايين . جـ٢ ص ١٥٢ وأيضً تاريخ بغداد جـ٨ ص ٢٤١ ، وطبقات الصوفية .

* الوهق : الحبل الغار يرمى فيه أنشوطه فتؤخذ فيه الدابة والإنسان والجمع أوهاق ومفردها « وَهَقَ » بالتحريك وقد يسكن وهو حبل كالطّوَل تشد به الإبل والخيل لئلاتنِدّ . والشجرد : اسم مكان .

إن الصوفية يحاولون أن يصلوا إلى مرضاة الله فى كل أمر من الأمور التى يحبها الله ورسوله .. وموقفهم من الجهاد كموقفهم من غيره من مبادئ الإسلام الفاضلة التى يحبون أن يصلوا فيها إلى ما يرضى الله ورسوله وهم يعرفون قوله تعالى فى هذه الصورة الحاسمة: ﴿ إنما المؤمنون الذين أمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم سبييل الله أولئك هم الصادقون ﴾[١] ويعرفون أن الجهاد تجارة مع الله وهى تجارة رابحة ، يقول سبحانه : ﴿ يا أيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون – يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾[٢] ولقد أشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بثمن هو الجنة وعبر عن ذلك بقوله : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾[٣] ووصف المؤمنين الذين ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات الكريمة هو الوصف الذى أحب الصوفية تحقيقه ، وعملوا طيلة حياتهم على إظهاره ، فى الواقع : إن حاتماً يبدأ طريقه على النسق

(١) سورة الحجرات : آية رقم ١٥ .

(٢) سورة الصف : آية رقم ١٠ : ١٣ .

(٣) سورة التوبة : الآية رقم ١١١ ، ١١٢

المعتاد عند الصوفية : ونسق الصوفية فى بدء الطريقة توجيه الناس إلى التوبة.. ولذلك يخاطب السامعين والقارئين فيقول " التوبة أن تتنبه من الغفلة ، وتذكر الذنب وتذكر لطف الله ، وحكم الله ، وستر الله ، إذا أذنبت لم تأمن الأرض والسماء أن تأخذاك على أية صورة من الصور الكثيرة لتعجيل العذاب فإذا رأيت حكمه سبحانه فى وجوب التوبة ، فعليك أن تقلع عن الذنوب ، وأن ترجع من الذنوب مثل اللبن إذا خرج من الضرع لا يعود إليه ، فلا تعد إلى الذنب كما لا يعود اللبن فى الضرع " وإذا سألت حاتما عن فعل التائب كيف يكون ؟ فإنه يقول : فعل التائب فى أربعة أشياء :

الأول : حفظ اللسان من الغيبة والكذب ، والحسد واللغو .

والثانى : مفارقة أصحاب السوء .

والثالث : أنه إذا ذكر التائب الذنب استحى من الله .

الرابع : الاستعداد للموت .. وعلاقة الاستعداد : أن لا يكون التائب فى حال من الأحوال غير راض عن الله ... وإذا سألت حاتماً – بعد ذلك – عن جزاء التائب إذا فعل ذلك قال فى ثقة وفى يقين " إذا كان التائب هكذا يعطيه الله أربعة أشياء

أولها : يحبه – كما قال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين بين ويحب المتطهرين ﴾[1] .

وثانيها : أنه سبحانه يخرجه من الذنب ، كأنه لم يذنب كما قال ﷺ : " التائب من الذنب كمن لا ذنب له " .

---

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢٢٢ .

وثالثها : يحفظه الله من الشيطان ، فلا يكون للشيطان عليه من سبيل كما قال سبحانه لإبليس : ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾[1] .

رابعها : يؤمنه الله سبحانه من النار قبل الموت ، كما قال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾[2] ويثير حاتم مسألة إنسانية تدل على رقة فى الشعور ، وعلى ذوق عال فيما ينبغى أن يكون : وهى مسألة موقف المجتمع من التائب ويقول فى ذلك . يجب على الخلق نحو التائب أربعة أشياء :

أولها : أن يحبوا هذا التائب كما يحبه الله تعالى ..

وثانيها : أن يدعوا له بالحفظ ويستغفروا له كما تستغفر له الملائكة الذين يقول الله عن حملة العرش وعمّن حول العرش منهم : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً فأغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾[3] .

---

(١) سورة الحجر : آية رقم ٤٢ .
(٢) سورة فصلت : آية رقم ٣٠ .
(٣) سورة غافر : آية رقم ٧ : ٩ .

ومن كلماته :

عجبت ممن يعمل بالطاعات ويقول : إني أعمل ابتغاء مرضاة الله ثم تراه أبداً ساخطاً على الله ، راداً لحكمه – أتريد أن ترضيه ولست براض عنه ؟ .. كيف يرضى عنك ولم ترض عنه[١] .

ومن أقواله : في التصوف الإسلامي وفي شأن المريد ( إذا رأيت المريد يريد غير مُرَادِه فاعلم أنه قد أظهر بذالته ) وفي نسخة ( نذالته ) أي خبث باطنة[٢] .

وقيل له : أيحتمل الرجل من كل أحد ؟ فقال : نعم ، إلا من نفسه[٣] . ويذكره صاحب " المستطرف " فيقول " ومنهم سيدى " حاتم ابن علوان الأصم " قدس الله سره ويكنى أبا عبد الرحمن من أكابر مشايخ خراسان صاحب شقيقاً البلخي . ومن كلامه . ألزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغبة والآخرة راغبة . وقال : من ادعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كاذب من أدعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبي ﷺ من غير محبة الفقراء فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله فهو كذاب)[٤] .. وسأله رجل علام بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل ؟ قال على أربع خصال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا استحى منه[٥] .

---

(١) عوارف المعارف للسهروزدى ص ٧٦ .

(٢) الرسالة القضيرية جـ٢ ص ١٣٦ .

(٣) ذاته ص ٤٩٧ .

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي جـ١ ص ٢٣٥ ( مرجع سابق ) .

(٥) ذاته ص ٢٣٦ .

# سهل بن عبد الله التسترى



# سهل التسترى

هو الصوفى الزاهد « سهل بن عبد الله بن يونس التسترى » ويكنى بأبى محمد ، أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، والمتكلمين فى علوم الإخلاص ، والرياضيات ، وعيوب الأفعال ، له كتاب فى تفسير القرآن وكتاب « رقائق المحبين » وغير ذلك من المؤلفات[١] .

ويقول صاحب الطبقات الكبرى : ومنهم أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله – ابن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التسترى رضى الله عنه وهو أحد أئمة القوم ومن أكابر علمائهم المتكلمين فى علوم الإخلاص والرياضيات وعيوب الأفعال ، صحب خالداً ومحمد بن سوار . وشاهد « ذا النون المصرى » عند خروجة إلى مكة فى سنة (ثلاث وسبعين ومائتين ) . ومات سهل سنة ( ثلاث وثمانيين ومائتين)[٢] ويقول صاحب الأعلام : ولد سنة ( مائتين للهجرة ) وتوفى سنة (ثلاث وثمانين ومائتين)[٣] والذى يوافق ٨١٥ – ٨٩٦ للميلاد[٤]. ومن كلامه رضى الله عنه الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا انتبهوا ندموا ، وإذا ندموا لم تنفعهم الندامة . وكان رضى الله عنه يقول : ما طلعت شمس ولا غربت على أهل الأرض إلا وهم جهال بالله إلا من يؤثر الله على نفسه وزوجته ودنياه وأخرته ، وأدنى الأدب أن يقف عند الجهل ، وآخر الأدب أن يقف عند الشريعة . وكان يقول : إن الله

(١) الأعلام للزركلى جـ٣ ص ١٤٣ .

(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى جـ١ ص ٦٦ .

(٣) الأعلام جـ٣ ص ١٤٣ .

(٤) الوفيات جـ١ ص ٢١٨ .

مطلع على القلوب فى ساعات الليل والنهار فأيما قلب رأى فيه حاجة إلى سواه سلط عليه إبليس ، وكان يقول : « يلزم الصوفى ثلاثة أشياء: حفظ سره ، وحياته فقره ، وأداء فرضه » . وكان رضى الله عنه يقول: « الله قبله النية، والنية قبلة القلب ، والقلب قبلة البدن ، والبدن قبلة الجوارح ، والجوارح قبلة الدنيا » وكان يقول : « من سلم من الظن سلم من التجسس ، ومن سلم من التجسس سلم من الغيبة ، ومن سلم من الغيبة سلم من الزور ، ومن سلم من الزور سلم من البرستان وكان يقول : لا يستحق الإنسان الرياسة حتى يصرف جهله عن الناس، ويمل جهلهم ، ويترك ما فى أيديهم ، ويبذل ما فى يده لهم » . وكان يقول : « من أخلاق الصديقين ألا يحلفوا بالله لا صادقين ولا كاذبين ، ولا يغتابون ، ولا يغتاب عندهم ، ولا يشبعون بطونهم ، وإذا وعدوا لم يخلفوا » . وكان رضى الله عنه يقول الفتنة على ثلاثة أقسام فتنة العامة دخلت عليهم من صناعة العلم ، وفتنة الخاصة دخلت عليهم من الرخص والتأويلات وفتنة العارفين دخلت عليهم من تأخير الحق الواجب إلى وقت آخر » وكان يقول : « أصولنا سبعة أشياء التمسك بكتاب الله ، والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وأكل الحلال ، وكف الأذى، واجتناب المعاصى ، والتوبة وأداء الحقوق » وكان يقول : « من أحب أن يطلع الناس على ما بينه وبين الله فهو غافل » وكان يقول : « قد أيس العلماء فى زماننا هذا من هذه الثلاث خصال : ملازمة التوبة ، ومتابعة السنة ، وترك أذى الخلق . وكان يقول : « العيش على أربعة أقسام : عيش الملائكة فى الطاعة وعيش الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى العلم ، وانتظار الوحى ، وعيش الصديقين فى الاقتداء ، وعيش سائر الناس عالماً أو جاهلاً زاهداً كان أو عابداً فى الأكل والشرب

والضرورة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والقوام للصديقين ، والقوة للمذنبين ، والمعلوم للبهائم » .

وكان رضى الله عنه يقول : « ما عمل عبد بما أمره الله تعالى عند فساد الأمور ، وتشويش الزمان ، واختلاف الناس فى الرأى إلا جعله الله إماماً يقتدى به ، هادياً مهدياً وكان غريباً فى زمانه » . وسئل عن الولى فقال : « هو الذى تولت أفعاله على الموافقة » وسئل عن ذات الله عز وجل فقال : « ذات موصوفة بالعلم ، غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار فى دار الدنيا ، وهى موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا حلول ، وتراه العيون فى العقبى ظاهراً فى ملكه وقدرته ، وقد حجب سبحانه وتعالى الخلق عن معرفة كنه ذاته ، ودلهم عليه بآياته ، فالقلوب تعرفه ، والأبصار لا تدركه ، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية ، وكان رضى الله عنه يقول : « خلق الخلق ولم يحجبهم عنه وإنما جاءهم الحجاب من تدبيرهم واختيارهم مع الله تعالى وذلك هو الذى كدر على الخلق عيشهم » وكان رضى الله عنه يقول : « مخالطة الولى للناس ذل ، وتفرده عنهم عز ، وقلما رأيت ولياً لله عز وجل إلا متفرداً » . وكان رضى الله عنه يقول: « ما من ولى لله صحت ولايته إلا ويحضر إلى مكة فى كل ليلة جمعة لا يتأخر عن ذلك » . وكان رضى الله عنه يقول : « أنا حجة الله على الخلق وأنا حجة على أولياء زمانى ، فبلغ ذلك أبا زكريا الساجى وأبا عبد الله الزبيرى فذهبا إليه . فقال له أبو عبد الله الزبيرى : وكان جسوراً لأنه ضرير : بلغنا أنك تقول أنا حجة الله على الخلق وأنا حجة الله على أولياء زمانى فبماذا صرت ؟ هل

أنت نبي أو صديق ؟ فقال سهل : لم أذهب حيث ظننت ولست أنا نبياً إنما قلت هذا لأنني صححت أكل الحلال دون غيرى — فقال له وأنت صححت الحلال ؟ قال نعم . لا أكل دائماً إلا حلالاً فقال له الزبيرى : وكيف ذلك ؟ فقال له سهل : قسمت عقلي ومعرفتي وقوتي على سبعة أجزاء . فأترك الأكل حتى يذهب منها ستة أجزاء ويبقى جزء واحد فإذا خفت أن يذهب ذلك الجزء وتتلف معه نفسى أكلت بقدر البلغة خوفاً أن أكون أعنت على نفسى ولترد على الست الأخرى فبهذا صح لى الحلال فقال الزبيرى : نحن لا نقدر على المداومة على هذا ولا نعرف أن نقسم عقولنا ومعرفتنا وقوتنا على سبعة أجزاء واعترف بفضل سهل رضى الله عنه . وكان يقول : « يأتى على الناس زمان يذهب الحلال من أيدى أغنيائهم ، وتكون أموالهم من غير حلها فيسلط الله بعضهم على بعض يعنى بالأذى ، والمرافعات عند الحكام ، فتذهب لذة عيشهم ويلزم قلوبهم خوف فقر الدنيا ، وخوف شماتة الأعداء ولا يجد لذة العيش إلا عبيدهم ومماليكهم ، وتكون ساداتهم فى بلاء وشقاء وعناء وخوف من الظالمين ، ولا يستلذ بعيش يومئذ إلا منافق لا يبالى من أين أخذ ولا فيما أنفق ، ولا كيف أهلك نفسه . وحينئذ تكون رتبة القراء رتبة الجهال وعيشهم عيش الفجار ، وموتهم موت أهل الحيرة والضلال » .

وكان رضى الله عنه يقول : « اجتمعت الشخص من أصحاب المسيح عليه الصلاة والسلام فى ديار قوم عاد فسلمت عليه فرد علىّ السلام فرأيت عليه جبة صوف فيها طراوة فقال لى : إنها من أيام المسيح فتعجبت من ذلك . فقال يا سهل : إن الأبدان لا تخلق الثياب

إنما يخلقها رائحة الذنوب ، وماعم السحت . فقلت لـه فكـم لهـذه الجبـة عليك . فقال : « لها على سبعمائة سنة فقلـت لـه : هـل اجتمعـت بنبينـا محمد ﷺ ؟ فقال : نعم ، وآمنت به حين آمن به الجن الذين أوحـى إليـه فى حقهم « قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجـن »[1] قلـت ومـن هنـا كان الخضر عليه السلام لا تبلى له ثياب لأنه لا يعصى اللـه تعالى ولا ياكل حراماً ، وكما لا يبلى لأكل الحلال ثياب ، فكذلك لا يبلى له جسم بعد موته كما وقع لبعض الأولياء وجدناه طرياً كما وضعناه بعد سنين ، والله تعالى أعلم — وكان رضى الله عنه يقـول : « إيـاكم ومعـاداة مـن شهره الله تعالى بالولاية » . وأنه كان بالبصرة ولى لله تعالى : فعـاداه قوم وآذوه فغضب الله عليهم فأهلكم أجمعيين فـى ليلـة وكـان يقـول : «طوبـى لمـن تعـرف بالأوليـاء فإنـه إذا عرفهـم اسـتدرك مـا فاتــه مـن الطاعات ، وإن لم يستدرك شفعوا عند الله فيه لأنهم أهل الفتوة » وكان رضى الله عنه يقول : « الدنيا حرام على صفوة الله من خلقـه ، حـرم عليهم أن ينالوا منها شيئاً كما حرم الله على الخلق أن يـأكلوا مـن صيد الحرم ، ومن أكل منه لزمته الفدية . كذلك من أكل مـن أهـل صفوتـه شيئاً من الدنيا ليس له فى فدية إلا ترك الطاعات » . وكان يقول : «إذا قام العبد بما لله تعالى عليه فحقيق على الله أن يقوم بما كان العبد قائمـاً به لنفسه » . وكان رضى الله تعالى عنه يقول : « من لم يكن مطعمــه من الحلال لم يكشف عن قلبه حجاب وتسارعت إليه العقبات ولا تنفعـه صلاته ، ولا صومه ، ولا صدقته » . وكان رضـى اللـه عنـه يقـول :

---

(١) سورة الجن : الآية ١

«إنما حجب الخلق عن مشاهدة الملكوت وعن الوصول لسوء المطعم ، وأذى الخلق » وكان يقول لأصحابه « ما دامت النفس تطلب منكم المعصية فأدبوها بالجوع والعطش ، فإذا لم ترد منكم المعصية فأطعموها ما شاءت ، واتركوها تنام من الليل ما أحبت وسئل رضى الله عنه عن الذى لم يأكل طعاماً أياماً كثيرة أين يذهب لهب جوعه فقال : « يطفئه نور القلب » وكان رضى الله عنه يقول : « حياة القلوب التى يموت بذكر الحى الذى لا يموت» .

وكان رضى الله عنه يقول : « من كمل إيمانه لم يخف من شئ سوى الله تعالى وكان يقول : « خيار الناس العلماء الخائفون ، وخيار الخائفين المخلصون الذين وصلوا إخلاصهم بالموت»[١] . ويقول صاحب اللمع : « وسئل عن التوكل فقال : الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد[٢] . وسئل سهل بن عبد الله عن التوبة فقال : «أن لا تنسى ذنبك»[٣]. وقال رحمه الله حين سئل عن الحلال الصافى : « الحلال الذى لا يعصى الله فيه ، والحلال الصافى الذى لا ينسى الله فيه »[٤] ، وحكى عنه رحمه الله « أنه سُئل عن الفقير الصادق فقال : « لا يسأل ، ولا يرد ، ولا يحبس »[٥]، وسُئل رحمه الله أيضاً عن

(١) الطبقات الكبرى للشعرانى جـ١ ص ٦٦ ، ٦٨ ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح الأصفهانى جـ١٠ ص ١٨٩ . والمناوى جـ١ ص ٢٣٧ .

(٢) اللمع لأبى نصر السراج الطوس ص ٧٨ .

(٣) ذاته ص ٦٨ .

(٤) ذاته ص ٧١ .

(٥) ذاته ص ٧٥ .

التوكل فقال : « التوكل وجه كله وليس له قفاً ولا يصح إلا لأهل المقابر »[1] . وسئل عن المحبة فقال : « موافقة القلوب لله، والتزام الموافقة لله ، وإتباع الرسول ﷺ مع دوام الاستهتار[*] بذكر الله تعالى ووجود حلاوة المناجاة لله عز وجل[2]. ويقول : « أول الأنس من العبد أن تأنس النفس والجوارح بالعقل ، ويأنس العقل والنفس بعلم الشرع ، ويأنس العقل والنفس والجوارح بالعمل لله خالصاً وفي رواية أخرى بالعلم فيأنس العبد بالله أي يسكن إليه[3] .

ويقول : « لو أعطى العبد لكل حرف من القرآن ألف فهم لما بلغ نهاية ما جعل الله تعالى فى آية من كتاب الله تعالى من الفهم ، لأنه كلام الله تعالى وكلامه صفته »[4] . ويقول : « الدعوة عامة والهداية خاصة[5] ، وأشار إلى قوله تعالى : ﴿ والله يدعوا إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾[6] ويقول : ﴿ أهل لا إله إلا الله كثير والمخلصون منهم قليل﴾[7]. وقال: « الدنيا كلها جهل إلا

---

(١) ذاته ص ٧٩ .

(*) الاستهتار: الولوع بالشيء وحبه تقول استهتر بالشيء إذا أولع به وشغف وأحب وعشق.

(٢) ذاته ص ٨٧ .

(٣) ذاته ص ٩٦ .

(٤) ذاته ص ١٠٧ .

(٥) ذاته ص ١٠٨ .

(٦) سورة يونس : آية ١٢٥ .

(٧) ذاته ص ١١٧ .

ما كان منه العلم ، والعلم كله حجة إلا ما كان العمل بـه ، والعمل كلـه هباء إلا موضع الإخلاص فيه، وأهل الإخلاص على خطر عظيم »[١].

ويقول : « الألف أول الحروف وأعظم الحروف وهو الإشارة فى الألف أى الله الذى ألف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء »[٢] .

ويقول : « كل وجد لا يشهد لـه الكتاب والسنة فباطل »[٣] وسئل رحمه الله : « عن معنى قول النبى ﷺ ( المؤمن من تسره حسنته وتسوءه سيئته ) . قال : حسنته نعم الله وفضله ، وسيئته نفسه إن وكل إليها »[٤] . وقال رحمه الله : « اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين[٥] . وقال رحمه الله : « شغل المريد فى قلبه ، إقامة الفرض، والاستغفار من الذنب وطلب السلامة من الخلق»[٦] . وذكر عنه رحمه الله الكرامات فقال : « أكبر الكرامات أن تبدل خلقاً مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود»[٧] .

ويقول : سهل بن عبد الله : « اليقين نار والإقرار فتيله والعمل زيت وقد قال الله تعالى : « سماهم فى وجوههم من أثر السجود »[٨] وقال تعالى: ﴿ نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾[٩] .

---

(١) ذاته ص ١١٨ .

(٢) ذاته ص ١٢٥ .

(٣) ذاته ص ١٤٦ .

(٤) ذاته ص ١٦٤ .

(٥) ذاته ص ٢٣٧ .

(٦) ذاته ص ٣٧٦ .

(٧) ذاته ص ٤٠٠ . المقصود بالقراء : العلماء .

(٨) سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٩) سورة النور : الآية ٣٥ .

فنور اليقين من نور الله فى زجاجة القلب يزداد ضياءاً بزيت العمل ، فتبقى زجاجة القلب كالكوكب الدرى وتنعكس أنوار الزجاجة على مشكاة القالب ، وأيضاً يلين القلب بنار النور ويسرى لينه إلى القالب فيلين القالب للين القلب ، فيتشابهان لوجود اللين الذى عمهما[١] . قال الله تعالى : ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾[٢] وصف الجلود باللين كما وصف القلوب باللين فإذا امتلأ القلب بالنور ولأن القالب بما يسرى فيه من الأنس والسرور يندرج الزمان والمكان فى نور القلب ويندرج فيه الكلم والآيات والسور وتشرق الأرض ، أرض القالب بنور ربها إذ يصير القلب سماءاً ، والقالب أرضاً . ولذة تلاوة كلام الله فى محل المناجاة تستركون الكائنات والكلام المجيد بكونه ينوب عن سائر الوجود فى مزاحمة صفو الشهود فلا يبقى حينئذ لنفس حديث ولا يسمع للهاجس حسيس وفى مثل هذه الحالة يتصور تلاوة القرآن من فاتحته إلى خاتمته من غير وسوسة وحديث نفس وذلك هو الفضل العظيم[٣] . ويقول فى قوله : « عليه السلام من صلى بالليل حسن وجه بالنهار » معناه : أن وجوه أموره التي يتوجه إليها تحسن وتتداركه المعونة من الله الكريم فى تصاريفه ، ويكون معاناً فى مصدره ومورده ، فيحسن وجه مقاصده وأفعاله ، وينتظم فى مسلك السداد مسدداً أقواله ، لأن الأقوال تستقيم باستقامة القلب[٤] .

---

(١) الإحياء للغزالى جـ٥ ص ١٨٥ ، وما بعدها .

(٢) سورة الزمر : الآية ٢٣ .

(٣) ذاته ص ١٨٦ .

(٤) ذاته ص ١٨٦ .



# شقيق البلخى

١٩٤هـ



# شقيق البلخى

هو أبو على : شقيق بن إبراهيم البلخى ، كان من أجل مشايخ خراسان ، كما يقول صاحب « نتائج الأفكار القدسية » « هو من مشاهير مشايخ خراسان » . ولعله أول من تكلم فى علوم الأحوال الصوفية « بكور خراسان » وكان من كبار المجاهدين استشهد فى موقعة « كولان » بما ورا النهر[١] . وقد ذكره صاحب النجوم الزاهرة فى وفيات سنة ١٥٣هـ/١٩٤هـ والرواية الثانية ( ١٩٤هـ ) عن الذهبى وفى لسان الميزان يقول : « كان له ثلاثمائة قرية ثم مات بلا كفن[٢] . ويذكر صاحب الوفيات أن وفاته كانت فى سنة ١٥٣هـ[٣] .

نشأ شقيق نشأة مترفة ، فقد كان أبوه وكان جده من كبار الأثرياء، ومع هذا الغنى : فإن شقيقاً حينما وصل إلى مرحلة النضج من عمره لم يشأ أن يعيش عيشة البطالة المنغمسة فى الملذات ، وإنما أخذ فى العمل الجاد الدائب وعلى الخصوص فى مجال التجارة — ولم يكن شقيق فى اثناء سياحاته الكثيرة فى التجارة منصرفاً إلى التجارة فحسب وإنما كان يفتح عينيه على كل ما يصادفه ، ويحاول ما استطاع أن يلاحظ وأن يستفيد . وقد كان هذا شأنه فى جميع حياته كان يلاحظ ويتدبر ، ويفكر ويستنتج . وكان الخلق الغالب عليه فى حياته هو خلق السخاء بأوسع

---

(١) الأعلام للزركلى جـ٣ ص ١٧١ .

(٢) النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والصاهرة جـ٢ ص ٢١ ، ١٤٦ . ولسان الميزان لابن حجر جـ٣ ص ١٥١ .

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص ٢٢٦ .

ما تشتمل عليه هذه الكلمة من معنى كريم . لقد كان سخياً بما له فى سبيل الله وفى سبيل الأصدقاء ، وكان سخياً بنفسه فى سبيل الله وفى سبيل أصدقائه ، وتوفى رحمه الله سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة.

وتوضيحاً لطبيعة الملاحظة فيه ، وبياناً لخلق الإيثار عنده ، نروى طرفاً من القصص الذى يدل على سخائه وكرمه : لقد رأى مرة مملوكاً يلعب ويمرح فى زمن قحط وشدة ، وكان الناس فيه مهتمين بتحصيل قوتهم قلقين على حياتهم فقال له شقيق : ما هذا النشاط الذى فيك ؟ أما ترى ما فيه الناس من القحط والحزن ؟ فقال ذلك المملوك : « وما علىّ من ذلك ولمولاى قرية خالصة يدخل له منها ما نحتاج نحن إليه ؟ »

وأخذ شقيق يتدبر قول المملوك وقال : « إن كان لمولاه قرية – ومولاه مخلوق فقير – ثم إنه ليس يهتم لرزقه فكيف يهتم المسلم لرزقه ومولاه غنى ؟ » وما أراد شقيق بذلك أن ينفى الأسباب ، فإنه يقول باتخاذها . وإنما أراد أن يدل أهل الجشع والتكالب على ما يهدئ من جشعهم وتكالبهم ، وأخذهم فى الحصول على المال من أى وجه كان » .

وخرج شقيق فى تجارة إلى بلاد الترك ومر بقوم يقال لهم « الخصوصية » وهم يعبدون الأصنام فدخل بيت أصنامهم فوجد فيه الكاهن قد حلق رأسه ولحيته ولبس ثياباً حمراء أرجوانية ، فقال له شقيق : « إن هذا الذى أنت فيه باطل ، وإن لهؤلاء ، وإن لك ، وإن لهذا الخلق خالق وصانع ليس كمثله شئ . وله الدنيا والآخرة قادر على كل شئ ، رازق كل شئ ، فقال له الكاهن : ليس يوافق قولك فعلك فقال شقيق : كيف ذلك ؟ قال : « زعمت أن لك خالقاً رازقاً ، قادراً على كل شئ ، وقد تغيبت فى المجئ إلى هنا لطلب الرزق ولو كان

كما تقول ، فإن الذى يرزقك ها هنا هو الذى يرزقك هناك فترتاح من تعبك » . وأراد شقيق – بهذه القصة – أن يقول للناس : إن الرزق مقسوم ، وإن الله قدر الأرزاق ، فكل تكالب وكل جشع وكل طريق غير مشروع لا يزيد فى الرزق ، وأن عليهم أن يطلبوه من وجوهه المشروعة »[1] .

« وقصة ثالثة نرويها بياناً لخلق شقيق فى السخاء بالنفس والإيثار: « كان على بن عيسى بن ماهان ( أمير بلخ ) يحب كلاب الصيد ، ويقتنيها تحقيقاً لهوايته فى الصيد وافتقد يوماً كلباً من كلابه وبحث فلم يجده ، وسعى الناس برجل يتهمونه بسرقة الكلب . وكان هذا الرجل برئياً ، ولكنه يعلم أن الأمير سيعذبه ، فهرب ودخل دار شقيق مستجيراً فمضى شقيق إلى الأمير ، وقال : خلوا سبيله فإن الكلب عندى أرده إليكم وأمهلونى فى رده إلى ثلاثة أيام فخلوا سبيله ، وانصرف شقيق مهتماً لما صنع ، فلما كان اليوم الثالث : كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ رجع إليهم ، فوجد فى الطريق كلباً عليه قلادة تدل على أنه معلم فأخذه وقال أهديه إلى شقيق يتفتى به فإنه يشتغل بالتفتى فحمله إليه ، فنظر إليه شقيق ، فإذا هو كلب الأمير ، فسر به وحمله إلى الأمير ، وتخلص من الضمان فرزقه الله الانتباه بذلك وقال فى نفسه: « إذا كان لطف الله تعالى بى ، وأنا فى حال الغفلة والجفاء ، فكيف إذا رجعت إليه بصدق العباد والوفاء ، فرجع إليه وتاب مما كان فيه ، وسلك طريق الزهد ... لقد كان شقيق البلخى

(١) عوارف المعارف للسهروردى تحقيق الدكتور عبد الحليم والدكتور محمود بن الشريف جـ١ ص ٥٤ ، دار المعارف بالقاهرة .

صاحب تجربة وملاحظة وتدبر وتفكير انتهت به التجربة إلى اليقين العملى بالحديث الذى رواه بسنده عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «اللهم إن الخير خير الآخرة». وهذا الحديث الذى رواه بسنده ينسجم مع حديث آخر رواه أيضاً بسنده عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أخذ من الدنيا من الحلال حاسبه الله به؟ ومن أخذ من الدنيا من الحرام عذبه الله به أفّ للدنيا وما فيها من البليات : حلالها حساب وحرامها عذاب » ، هذان الحديثان اللذان رواهما شقيق وغيرهما مما رواه من الأحاديث فى معناهما هى التى انتهت إليها تجربة شقيق إنه يقول : « عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة فأصبته فى حرفين وهو قوله تعالى : ﴿وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى﴾[1] .

والتوكل أن يطمئن قلبك بموعود الله ، ومما يفسر التوكل عند شقيق قوله : « من لم يعرف الله بالقدرة ، فإنه لا يعرفه فقيل له : وكيف يعرفه بالقدرة ؟ فقال : يعرف أن الله قادر – إذا كان معه شئ – أن يأخذه منه ويعيطه غيره – وإذا لم يكن معه شئ أن يعطيه » . وإذا صدقت التوبة ، وصدق التوكل ، أثمر ذلك الزهد ، ويتحدث شقيق البلخى عن الزهاد فيرى ما يراه إبراهيم ابن أدهم وينقل عنه قوله : « أقرب الزهاد من الله عز وجل أشدهم خوفاً ، وأحب الزهاد إلى الله أحسنهم له عملاً وأفضل الزهاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة ، وأكرم الزهاد عليه أتقاهم له ، وأتم الزهاد زهداً أسخاهم نفساً ، وأسلمهم

(١) سورة القصص : الآية رقم ٦٠ .

صدراً، وأكمل الزهاد زهداً أكثرهم يقيناً » . وكان ثقة الشقيق فى الله مطلقة، وبلغت إلى الحد الذى اندفع فيه شقيق فىالجهاد فى سبيل الله لا يبالى على أى جنب فى الله مصرعه . يتحقق فيه قول الشاعر :

ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فيالله مصرعى

وها هو بين الصفين فى محاربة العدو مسلحاً بالإيمان والعدة الحربية ، وقد التحم الجيشان فليس هناك إلا سيوف مسلته ، ورقاب تقطع ، ورؤوس تسقط ، وإذالشقيق يقول لمن بجواره كيف ترى نفسك؟ أترى نفسك فى حالة تشبه حالتك فى الليلة التى زفت فيها امرأتك إليك؟ فقال صاحبه : لا ، والله، فقال شقيق لكنى والله أرى نفسى فى هذا اليوم مثل ما كنت فى الليلة التى زفت فيها امرأتى إلى . وقال شقيق البلخى لإبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان : كيف تركت الفقراء من أصحابك ؟ قال : تركتهم إن أعطوا شكروا ، وإن منعوا صبروا ، وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء . فقال شقيق : هكذا تركت كلاب ( بلخ ) عندنا فقال له إبراهيم بن أدهم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق ؟ فقال : الفقراء عندنا إن منعوا شكروا ، وإن أعطوا آثروا . فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ(١) .

ومات شقيق البلخى شهيداً فى ساحة الحرب والجهاد فى سبيل الله سنة أربع وتسعين ومائه وقيل سنة ثلاثٍ وخمسين ومائة رحمه الله رحمة واسعة(٢) .

---

(١) الإحياء جـ٤ ص ٢٠٠ ط دار الصابونى .

(٢) ذاته ص ٥٦ . وراجع فى ترجمه أيضاً ما يلى : طبقات الصوفية ص ٦١ : ٦٦ فوات الوفيات جـ١ ص ١٨٧ . حلية الأولياء لأبى نعيم الأصهانى جـ٨ ص ٥٨ . الطبقات الكبرى للشعرانى جـ١ ص ٦٥ . تهذيب ابن عساكر جـ٦ ص ٣٢٧ . ميزان الاعتدال جـ١ ص ٤٤٩ الذهبى .



# يحيى بن معاذ

٢٥٨هـ/٨٧٢م



## يحيى بن معاذ

هو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى ، ويكنى بأبى زكريا واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير فى وقته من أهل « الرأى » أقـام « ببلـخ » ومات فى « نيسابور »[1] .

نشأ الصوفى الزاهد « يحيى بن معاذ » فى أسرة عرفت بالصلاح والتقوى ، وكانت الأسرة مكونـة من ثلاثـة أخوة وهـم يحيـى ، وهـو أوسطهم ، أمـا أكبرهم فإنـه يدعـى « إسماعيل » وأصغرهـم يدعـى « إبراهيم » وكلهم زهاد[2] . ولد يحيى بن معاذ « فى الرى » وهى مدينة مشهورة ولما شب واكتمل خرج من « الرى » إلى « بلخ » وأقام بهـا مدة ثم فارقها إلى « نيسابور » ومكث بها إلى آخر حياته .

ولقد اتخذ الطريق الصواب فى الأساس ، والطريق الصـواب فـى الغاية ، ويجمع ذلك أساسًا وغاية قوله : يرحمـه الله ( الثـقة بالله فـى كل شئ ، والغنى به عن كل شئ ، والرجـوع إليـه فـى كـل شـئ )[3] . وفى الحقيقة أن المسلم إذا التزم بذلك فقد استقام أمـره ، وصلـح حالـه ، وصفت سريرته وخلصت نيته ، فيما بينه وبين نفسـه ، ومجتمعـه الـذى يعيش فيه ، وفيما بينه وبين الله سبحانه ، وقـد بـدأ ذلـك الزاهـد طريـق الاستقامة بالتوبة الخالصة النصوح وهى التوبة التـى يعـزم التـائب فيهـا على أن لا يعود إلى مقارنة الذنوب مرة أخرى نادماً على ما فعل وتلـك

---

(١) الإعلام لخير الدين الزركلى جـ٨ ص ١٧٢ .

(٢) عوارف المعارف للسهروردى جـ١ ٢٥٨ بتصرف . وأيضاً طبقات الصوفية .

(٣) عوارف المعارف جـ١ ص٨٠ بتصرف .

هى التوبة النصوح وله كلمات فى هذا الأمر تدل دلالة حاسمة على العزم الأكيد الذى قطعة على نفسه ومنها زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها[1] كما أن له كلمات سائرة منها « كيف يكون زاهداً من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك » ، « هان عليك من احتاج إليك » و «تزكية الإشرار لك هجنة بك ، وحبهم لك عيب عليك»[2] .

ويقول أيضًا : الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوى غم ساعة ، «طلب العاقل للدنيا أحسن من ترك الجاهل لها»[3] .

« من خان الله فى السر ، هتك الله ستره فى العلانية » ، « اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : العلماء الغافلين والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين »[4] . والمسمون بهذا الاسم ثلاثة : يحيى بن معاذ النيسابورى ، ويحيى بن معاذ الرازى ويحيى بن معاذ التسترى[5] .

ومن الأمور التى لاحظها « يحيى بن معاذ » فى كثير من الناس، والتى أفسدت حياتهم « حب الرياسة » وكان من عمق توبته أن اقتلعت

---

(١) ذاته .

(٢) الإعلام للزركلى جـ٨ ص ١٧٢ .

(٣) ذاته .

(٤) ذاته . وأيضاً طبقات الصوفية ص ١٠٧ ، ١١٤ ، وصفوة الصفوة جـ٤ ص ٧١ - ٨٠ .

(٥) الأعلام جـ٨ هامش ص ١٧٢ ونسب هذا الكلام إلى ابن الجوزى فى كتابه (المدهش) مخطوط .

حب الرياسة من قلبه ولذلك نراه يقول : فى ذلك قولاً حكيماً عظيماً «لا يفلح من شمت منه رائحة الرياسة » . وكان من عمق توبته أيضاً أن جعلته فى غاية التواضع ، وكان يحاسب نفسه فى انكسار وحياء[1] من الله سبحانه فلا يعتد بعمل من أعماله التى تتصل بالعبادة ولا يقيم لها وزناً ، فيصل به الأمر إلى أن يقول فى مناجاته « رجائى لك مع الذنوب ، يغلب رجائى لك مع الأعمال لأنى أجدنى فى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص ، وأنا بالآفات معروف ، واعتمد فى الذنوب على عفوك وأنت بالجود موصوف »[2] ، وينصح ويحيى بن معاذ «السالكين طريق الله عز وجل فيقول : « أيها المريدون طريق الآخرة والطالبون أسباب العبادة والزهد ، اعلموا أنه من لم يحسن عقله ، لم يحسن تعبد ربه ، ومن لم يعرف آفة العمل لم يحسن أن يحترز منه ، ومن لم تصح عنايته فى طلب الشئ لم ينتفع به إذا وجده»[3] . واعلموا أنكم خلقتم لأمر عظيم ، وخطر جسيم ، وأن العلم لم يرد ليعلم ، إنما أريد ليعلم ويعمل به ، لأن الثواب على العمل بالعلم يقع لا على العلم ألا ترى أن العلم إذا لم يعمل به عاد وبالاً وحجة»[4] .

وانظروا ألا تكونوا معشر المريدين ممن قد تركوا لذة الدنيا ونعيمها ، ثم لا يصدق طلبكم الآخرة ، فلا دنيا ولا آخره ، وفكروا فيما تطلبون ، فإن من لم يعرف خطر ما يطلب ، لم يسهل عليه الجهل فى

---

(١) عوارف المعارف ص ٨١ بتصرف .
(٢) ذاته .
(٣) ذاته .
(٤) ذاته .

جنب طلبه . واعلموا أنه من لم يهن عليه الخلق لم يعظم عليه الرب ، ومن لم يكن طلبه فى طريق الرغبة والرهبة والشوق والمحبة ، كان متحيراً فى طلبه ، مخلصاً فى عمله ، لا يجد لذة العبادة ، ولا يقطع طريق الزهادة . فاتقوا الله الذى إليه معادكم ، وانظر ألا تكونوا ممن يعرفهم جيرانهم وإخوانهم بالخير والإرادة ، والزهادة والعبادة ، وحالكم عند الله على خلاف ذلك فإن الله يجزيكم على ما يعرف منكم لا على ما يعرفه الناس – ولا تكونوا ممن يولع بصلاح الظاهر ، الذى إنما هو للخلق ، ولا ثواب عليه بل عليه العقاب ، ويدع الباطن الذى هو « لله وعليه الثواب » ، هذا الطريق الذى رسمه يحيى بن معاذ للمريدين ، هو الطريق الذى سار فيه حتى تزكى ... وحينما تزكى رأى عليه نحو المجتمع واجباً هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[١] ..

لقد أخذ « يحيى بن معاذ » يجاهد نفسه جهاد المستميت حتى استقامت ، فأخذ فى جد يعمل بما أمر الله سبحانه وتعالى به ، من محاولة إصلاح المجتمع ، وذلك بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢]... وسئل رحمة الله عن صفة العارف فقال : داخل معهم بائن منهم[٣] . ويقول : رحمه الله ما دام العبد يتعرف فيقال : لا تختر شيئاً ولا تكن مع اختيارك حتى تعرف فإذا عرف وصار عارفاً فيقال له: إن شئت اختر وإن شئت لا تختر ، لأنك إن اخترت فباختيارنا اخترت ، وإن تركت الاختيار ، فباختيارنا تركت الاختيار فإنك بنا فى الاختيار

---

(١) ذاته ص ٨١ .

(٢) ذاته ص ٨٢ .

(٣) اللمع لأبى نصر السراج الطوسى ص ٥٨ .

وفى ترك الاختيار . ويقول : الدنيا عروس ومن يطلبها ما شطتها ، والزاهد فيها يسخم وجهها ، وينتف شعرها ، ويخرق ثوبها ، والعارف بالله مشتغل بسيده لا يلتفت إليها » . وقال إذا ترك العارف أدبه عند معرفته فقد هلك مع الهالكين »(١) . والزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره(٢) . وسئل رضى الله عنه عن صفة العارف فقال : رجل كائن معهم بائن عنهم(٣) . وحكى عنه أنه كان يلبس الصوف والخُلْقان فى ابتداء أمره ، ثم كان فى آخر عمره يلبس الخَزّ واللين فقيل ذلك لأبى يزيد رحمه الله تعالى فقال : مكسين « يحيى » ! لم يصبر على الدون فكيف يصبر على البخت(٤) . وهو الذى يقول : « مجالسه المخالفين تعمى الروح ، ورؤية الأضداد تمنع الذوق »(٥) . ويقول : لو علمت أن الجوع يباع فى السوق ما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره ، وقال : الجوع على أربعة أوجه : للمريدين رياضة ، وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة ، وللعارفين مكرمة(٦) - وسئل رحمه الله عن حقيقة المودة فقال : ( هى التى لا تزداد بالبر ولا تنقص بالجفاء وقيل له. كيف حالك ؟ فقال : كيف حال من يكون عدوه داؤه ، وصديقه بلاؤه(٧) .

---

(١) ذاته ص ٦١ .
(٢) ذاته ص ٧٣ .
(٣) ذاته ص ١٧٦ .
(٤) ذاته ص ٢٤٩ .
(٥) ذاته ص ٢٦٧ .
(٦) ذاته ص ٢٦٩ .
(٧) ذاته ص ٢٧٩ .

ويقول فى وجود العبد الرزق من غير طلب ، دلالة على ان الرازق مأمور بطلب صاحبه [١] ويقول " الصوت الحسن روحة من الله تعالى لقلب فيه حب الله تعالى[٢] ويقول : الحكمة جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب أوليائه ، ويقال إن الكلام إذا خرج من القلب يقع على القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الأذنين[٣] ويقول رحمه الله: إذا رأيت الرجل يشير إلى الآيات والكرامات فطريقة طريق الإبدال، وإذا رأيته يشير إلى الآلاء والنعماء فطريقة طريقة أهل المحبة، وهو أعلى من الذى قبل ، وإذا رأيته يشير إلى الذكر ويكون معلقاً بالذكر الذى ذكره فطريقة طريق العارفين وهو أعلى درجة من جميع الأحوال[٤]- ويقول رحمه الله (من لم يعم عينيه عن النظر إلى ما تحت العرش لم يصل إلى ما فوق العرش) يعنى لم يلحق ما فاته من مراقبة الذى خلق العرش[٥].

ويقول أيضاً : ( الزاهد سيار ، والعارف طيار ، يعنى فى سرعة الانتقال فى المقامات والأحوال عند الزوائد وطرق الفوائد يقول الشبلى فى هذا المعنى .

لست من جملة المحبين إن لم ... أجعل القلب بيته والمقاما
وطوافى إخاله السير فيه ... وهو ركنى إذا أردت استلاما

(١)ذاته ص ٢٩٦ .
(٢) ذاته ص ٣٣٩ .
(٣) ذاته ص ٣٦٨ .
(٤) ذاته ص ٤٠٣ .
(٥) ذاته ص ٤٣٣ .

يريد بذلك : سير القلوب[1] ويقول : يحى بن معاذ الرازى رحمه الله : العارف إذا ذكر ربَّه افتخر ، وإذا ذكر نفسه افتقر واحتقر وهذا المعنى موجود فى العلم . روى عن النبى ﷺ أنه قال : ' لى وقت لا يسعنى شئ غير الله ، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر " وروى عنه ﷺ أنه قال : " لا تفضلونى على يونس بن متى عليه السلام ، أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد[2] .

ويقول أيضاً : ذنب أتذلل به بين يديه أحب إلىّ من طاعة أدل بها عليه [3].

ويقول صاحب الكواكب الدرية عنه : " كان آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر له سطوة تكف الأيدى عن الجور ، ومهابة تزعزع كل جبار - ونزل " يحيى " إلى المجتمع فى قوة ، آمرا بالمعروف ، ناهياً من المنكر ، واعظاً مهذبا ، يتجه إلى هؤلاء الذين يختالون بأعمالهم ، فيقول لهم " أعمال كالسراب وقلوب من التقوى خراب ، وذنوب بعدد التراب ، وتطمع مع هذا فى الكواعب الأتراب ؟ ! هيهات هيهات ، أنت سكران بغير شراب )[4] .

وكان رضى الله عنه شاعراً قوى العارضة ، وشعره ناصع الديباجة متين النسج ، قوى الحبك ، مع الأسلوب الرصين واللفظ الجزل مع تخير العبارة ، وانتقاء الألفاظ - يقول ' يحيى بن معاذ الرازى ' :

---

(١) ذاته ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ .
(٢) ذاته ص ٤٧٨ ، ٤٧٩ .
(٣) ذاته ص ٥٠٧ .
(٤) عوارف المعارف ص ٨٢ .

أمـــوت بـــداء لايصـــاب دوائيا ولا فرج مما أرى فـــي بلائيـــا
يقولون يحيى جن من بعد صحـة ولا يعلم العـذال ما فـــي حشائيا
إذا كان داء المـرء حـب مليكة فمن غيره يرجـــوا طبيباً مداويا
مع الله يقضى دهـــره متلـــذذاً تراه مطيعـــاً كان أو كان عاصيا
ذروني وشأني لا تزيدون كربتـــي وخلوا عنانـــي نحو مولى المواليـــا
ألا فاهجروني وارغبوا في قطيعتي ولا تكشفوا عمـــا يجـــن فؤاديـــا
كلوني إلى المولى وكفوا ملامتي لآنس بالمولى على كل ما بيا(١)

ويذكره صاحب المستطرف فيقول " ومنهم سيدى يحيى بـن معاذ الرازى قدس الله سره يكنى أبا زكريا أحد رجال الطريقة .

كان أوحد وقته ، ومن كلامـه : لا تكـن ممـن يفضحـه يـوم موتـه ميراثه ، ويوم حشره ميزانـه ، وقـال : ليكـن حـظ المؤمـن منـك ثـلاث خصال ، إن لم تنفعـه فـلا تضـره ، وإن لـم تسـره فـلا تغمـه ، وإن لـم تمدحه فلا تذمه(٢) . وقال " الصبر على الخلوة من علامات الإخـلاص، وقال : بئس الصديق صديقاً يحتاج إلى أن يقال له اذكرني في دعـائك . وقال على قدر حبك لله يحبك الخلق ، وعلى قدر خوفك من الله تهـابك الخلق ، وعلى قدر شغلك بالله تشتغل في أمرك الخلـق " وقـال : ( مـن كان جناه في كيسه لم يزل فقيرا ) . ومن كـان غنـاه فـي قلبـه لـم يـزل

---

(١) عوارف المعارف ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٢) المستطرفة فى كل فن مستطرف لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهى جـ١ ص ٢٣٥ ط الأولى سنة ١٤١٣هـ ، سنة ١٩٩٢م دار الجبل بيروت – لبنان .

غنيا، ومن قصد بحوائجه المخلوقين لم يزل محروما[١] وروى أنه قدم (شيراز) فجل يتكلم على الناس فى علم الأسرار ، فأتته امرأة من نسائها فقالت : ( كم تريد أن تأخذ من هذه البلده قال ثلاثون ألفاً أصرفها فى دين علىّ بخراسان – فقالت لك علىّ ذلك ، على أن تأخذها وتخرج من ساعتك – فرضى بذلك فحملت إليه المال فخرج من الغد . فعوتبت تلك المرأة فيما فعلت ، فقالت : إنه كان يظهر أسرارأولياء الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك[٢] .

وقال يحى بن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود ويقول أيضاً علامة الزهد ثلاث : ( عمل بلا علاقة ، وقول بلا طمع ، وعز بلا رياسة )[٣] . وقال أيضاً : ( الزاهد لله يعطيك الخل والخردل ، والعارف يشمك المسك والعنبر . وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين ؟ فقال : إذا صرت من رياضتك لنفسك فى السر إلى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف فى نفسك ، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك أن تفتضح . وقال أيضاً : الدنيا كالعروس ومن يطلبها ما شطتها والزاهد فيها يسخم وجهها وينتف شعرها ويخرق ثوبها والعارف يشتغل بالله تعالى ولا يلتفت إليها[٤] .

---

(١) ذاته .

(٢) ذاته .

(٣) الإحياء جـ٤ ص ٢٢٤ – ط دار الصابونى .

(٤) ذاته ص ٢٢٥ .

* السّعوُط : الدواء يصب فى الأنف والسَّعُوط بفتح السين اسم الدواء يصب فى الأنف والسَّعيط دهن الخردل والزنبق . المصباح المنير ولسان العرب . مادة ( سعط).

# أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى - ط دار الصابونى .

٣- أخبار الحلاج . للشيخ عبد الحفيظ مدنى هاشم . مكتبة الجندى بالقاهرة .

٤- الأعلام - لخير الدين الزركلى - دار العلم للملايين - بيروت . لبناب الطبعة العاشرة سنة١٩٩٢ م .

٥ - البداية والنهاية لابن كثير .

٦ - التصوف الإسلامى للدكتور عمر فروخ .

٧ - الرسالة القشيرية - تحقيق د / عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ط دار الكتب الحديثة .

٨ - الطبقات الكبرى للشعرانى - مطبعة محمد على صبيح بالقاهرة .

٩ - الكواكب الدرية فى مناقب الصوفية - تأليف محمد عبد الرءوف المناوى الحاوى المصرى المتوفى فى سنة ١١٣١ هـ .

١٠ - المستطرف فى كل فن مستظرف- للأبشيهى - ط الأولى طبعة دار الجيل بيروت - لبنان ١٤١٣ هـ/١٩٩٢ م .

١١ - المصباح المنير .

١٢ - المجلة الأسيوية عبر دمارس ١٩٣٠ م فعال للأستاذ / محمد عبد الجليل .

١٣ - اللمع لأبى نصر السراج الطوسى - تحقيق د / عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٠ هـ سنة ١٩٩٠ م .

١٤ - النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة . لأبن تغرى بردى الأتابكى الأشاعرى - مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦ م .

١٥ - تاج العروس - للزابيدى -

١٦ - تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان . تعريب د/ عبد الحليم النجار دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .

١٧ - تهذيب بن عساكر .

١٨ - حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى .

١٩ - دائرة المعارف الإسلامية . لمحمد ثابت الفندى . لجنة الترجمة . ط . يوليو .

٢٠ - دراسات فى التصوف الإسلامى د/ عبد المنعم خفاجى نشر مكتبة القاهرة . دار الطباعة المحمدية .

٢١ - ديوان الحلاج . جمع وتحقيق الدكتور كامل مصطفى الشيبى أستاذ الفلسفة الإسلامية فى جامعة بغداد ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م .

٢٢ - ديوان ابن الفارض - كرم البستانى - دار صادر - بيروت - لبنان ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م .

٢٣ - روض المناظر .

٢٤ - سير أعلام النبلاء للذهبى .

٢٥ - شخصيات قلقة فى الإسلام - لويس ماستيون وبول كراوس ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى - نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٦ م .

٢٦ - شرح ديوان ابن الفارض جمع رشيد بن غالب والشيخ حسن البورينى والشيخ النابلسى - المطبعة العامرة الشرقية سنة ١٣٠٦ هـ .

٢٧ – صفوة الصفوة .

٢٨ –عوارف المعارف للسهر وردى – تحقيق د / عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور – ط دار المعارف بالقاهرة .

٢٩ – فوات الوفيات – لأبن شاكر الكتبى – تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ م .

٣٠ – لسان الميزان لابن حجر العسقلانى .

٣١ – لسان العرب لأبن منظور .

٣٢ – معجم المطبوعات .

٣٣ – مجلة الرسالة .

٣٤ – مجموعة الفتاوى لابن تيمه – القاهرة ١٩١١ م .

٣٥ – مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعى اليمنى – منشورات مطبعة الأعلى بيروت – لبنان .

٣٦ – ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى .

٣٧ – معجم الأدباء لياقوت الحموى – ط الأولى . دار الكتب العلمية بيروت – لبنان سنة ١٤١١ هـ سنة ١٩٩١ م .

٣٨ – نزهة الأرواح – لرافع الشهر زورى .

٣٩ – هدية العرفين للبغدادى . طبع وكالة المعارف – استانبول سنة ١٩٥١م.

٤٠ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان نشر مكتبة النهضة المصرية .

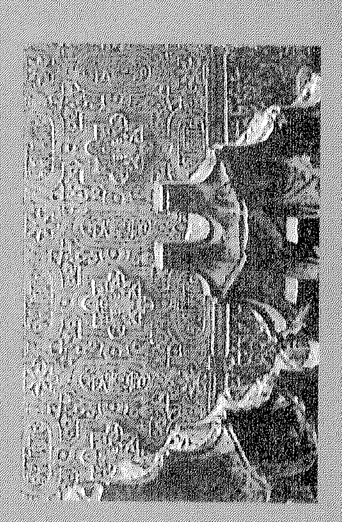
# الفهرس







الطبعة الأولى



9